



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة القادسية / كلية الآثار  
قسم الآثار

## عمارة المساجد في العصر العثماني في العراق (renovating Mosques)

(in Al- Osmaniye tense in Iraq

مشروع بحث تقدم به الطلبة :

محمد تكليف كامل

مصطفى عبد الهادي مصطفى

كرار حبيب حيالي

الى قسم الآثار في كلية الآثار/ جامعة القادسية

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في الآثار

بإشراف الدكتور/ رجوان سياب موحان

## المبحث الاول

### الاضاع العامة في العراق قبل السيطرة العثمانية :

(( كان احتلال بغداد على يد هولاءكو سنة 656هـ / 1258م وما اعقب ذلك من انتقال السيادة في العراق الى المغول ، وهم قبائل بدوية انزلت القتل والدمار بالسكان المسلمين الآمنيين ، حدثا تاريخياً فاصلا في تاريخ العراق السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، اذ اصبح العراق هدفاً لموجات بشرية ، كانت تنطلق من اواسط آسيا ، بين فترة واخرى وتحدث تغيرات مهمة في الكيانات السياسية القائمة في العالم الاسلامي )) (1) .

لقد سيطرت على العراق بعد سقوطه بيد المغول ، الموجه الايلخانية (2) ثم الجلائرية (3) وبعدها التركمانية (4) التي انحسر حكمها عن العراق سنة 914هـ / 1508 م بسبب ظهور الشاه اسماعيل الصفوي ( 1500 - 1524م ) مؤسس الأسرة الصفوية في بلاد فارس واحتلاله العاصمة بغداد فأنهى بذلك حكم آلاق قوينلو ، والقرة قوينلو ، الذين كانوا في صراع طويل مع الصفويين (5) .

- 
- (1) علي ، علي شاكرا، تاريخ العراق في العهد العثماني ( مكتبة 30 تموز ، ط1 ، نينوى ، 1985م ) ، ص 19 .
- (2) الموجه الايلخانية : من الموجات المغولية التي حكمت العراق من سنة 1258م الى 1336م ، عن حكم هذه الموجه انظر : بصورة مفصلة الدكتور ، خصباك ، جعفر حسين ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1968 .
- (3) الموجه الجلائرية : هذه الموجه تلت المجموعة الايلخانية في حكم العراق وحكمت من 1336م الى 1411م 0 عن هذه الموجه انظر : العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج2 ، بغداد ، 1936 م .
- (4) هذه الموجه تمثلت في قبيلتين قره قوينلو وآق قوينلو التركمانيتين اللتين سيطرتا على العراق من 1411م الى 1508م . انظر : عن الاوضاع السياسية في العراق في عهد هاتين الدولتين ، عبد الله بن فتح الله البغدادي ، التاريخ الغياي ، دراسة وتحقيق 0 طارق نافع الحمداني ، رسالة ماجستير ، بغداد ، 1974 ، ص 215 - ص 350 .
- (5) للمزيد من المعلومات عن هذا الصراع انظر : الجواهري ، عماد عبد الصاحب ، صراع القوى السياسية في المشرق العربي ( من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني ) ، جامعة القادسية ، 1990 م .

## مقدمة عن السيطرة العثمانية على العراق :

لقد شهد القرن السادس عشر الميلادي صراعاً عنيفاً بين الدولتين العثمانية والصفوية اللتين كانتا في أوج قوتهما وعظمتها ، وقد انتهت المعركة العنيفة التي دارت بين الطرفين في سهل جالديران عام 920هـ / 1514م عن انتصار سليم الاول (1512م - 1520م) على الشاه اسماعيل الصفوي الذي كاد ان يفقد حياته واحتلال تبريز عاصمة الدولة الصفوية(1) .

وعلى الرغم من ان الصفويين كانوا يحاولون مقاومة التوسع العثماني في الجزء الجنوبي الشرقي من الاناضول ، باءت جميع محاولاتهم بالفشل ، وفي المعركة التي جرت في قوج حصار الواقعة على بعد 15 كم من جنوب غرب ماردين في عام 1516م ، انهزم الجيش الصفوي ودخل القائد العثماني بيكلي محمد باشا مدينة آمد ( ديار بكر ) ، ومهدت هذه المعركة الطريق للعثمانيين السيطرة على شمال العراق (2) .

بسط العثمانيون نفوذهم على ارض الجزيرة والموصل في العراق ، وأمنت الدولة العثمانية بسيطرتها على شمال العراق حدودها الشرقية من الخطر الصفوي ، اما السيطرة العثمانية على وسط وجنوب العراق فلم تتم الا بعد مرور عشرين سنة على معركة جالديران عندما زحف السلطان سليمان القانوني ( 1520-1566م ) على رأس جيش جرار نحو بغداد واحتلتها سنة 941هـ / 1534م ، وفي سنة 953هـ / 1546م ودخلت البصرة تحت السيطرة العثمانية ايضا (3) .

(1) علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ، ص 20 .

(2) الخالدي ، هدية جوان ، المسكوكات العثمانية المضروبة في العراق والقسطنطينية رسالة دكتوراه غير منشورة ، قدمت الى كلية الاداب جامعة بغداد ، ص 5 .

(3) علي شاكر علي ، المصدر السابق ، ص 20 . لقد ترتب على احتلال العثمانيين للبصرة امتداد نفوذهم الى سواحل الخليج العربي الشمالية فأصبحوا بذلك وجهاً لوجه امام البرتغاليين ، فإن دخول البصرة والقطيف والبحرين في طاعة العثمانيين ادى الى تقوية مركزهم البحري ، وقد بذل العثمانيون محاولات جادة في وقف الخطر البرتغالي الذي كان يمثل تهديد مباشر للنفوذ العثماني في البحر الاحمر وتهديد الحرمين الشريفين اللذين دخلا في نطاق الدولة العثمانية ، انظر : الدكتور سالم ، مصطفى ، الفتح العثماني الاول لليمن 1538 - 1635م ، المطبعة العمالية ، القاهرة ، 1969 ، ص 139 .

## التنظيم الاداري للعثمانيين في العراق :

لقد قسم العثمانيون العراق في القرن السادس عشر الميلادي الى الايالات<sup>(1)</sup> التالية :

أولاً - أيلة بغداد : وهي من الايالات العراقية المهمة ، نظراً لموقعها الجغرافي في وسط العراق وتنقسم الى ثمانية عشر سنجقاً<sup>(2)</sup> ، وهذه السناجق هي : عدا بغداد التي هي مركز لواء ( الحلة ، زنك آباد ومن توابعها قزلباط ( السعدية ) ، الجوازر ، الرماحية ، جنكولة ، قرة طاع او قرة داغ ( الان قضاء في محافظة السليمانية ) ، درتلك ( الان ضمن الاراضي الايرانية ) وهي المعروفة بـ ( حلوان ) ، السماوة ، بيات ، درنة ، ده بالا ، واسط ، كرندي ( كرندي ) ، دمير قبو ، قزانية بالقرب من مندلي ، كيلان ، ال صاح ولعلها الصلاحية ( كفري الحالية ) ، العمادية<sup>(3)</sup> .

ثانياً - ايلة البصرة : تختلف المصادر التاريخية حول تقسيم البصرة الى سناجق او وحدات ادارية ، فمنهم من يرى ان البصرة لم تقسم الى سناجق ، بل ظلت وحدة ادارية واحدة يحكمها الوالي ، يستلم راتباً سنوياً محدداً على شكل ساليانة<sup>(4)</sup> . ويعزون السبب لعدم تقسيمها الى تركيبها العشائري . ومنهم من يقول بتقسيمها الى سناجق او وحدات ادارية ، تقسم الى ثمانية سناجق ، وثلاث نواحي ، وهذه السناجق هي : البصرة ، شرش ، قطيف ، غراف ، صدر سويب ، زكية ، محرزى ، قبان ، والنواحي هي عشار ، ناحية شمال ، ناحية

---

(1) الايالة : كلمة عربية التي تعني التنظيم ، او ادارة او ممارسة السلطة ، اما في المفهوم العثماني ، فتطلق على أكبر وحدة ادارية في الدولة العثمانية ، ويكون على رأس الايالة حاكم يسمى بكربكي (( بك البكوات )) برتبة مير ميران (( تحريف للكلمة العربية امير الامراء )) ، واستخدم هذا المصطلح بصورة رسمية بعد سنة 1000هـ / 1591 م .

(2) السنجق : كلمة تركية ذات معاني متعددة ، تأتي بمعنى الراية ، العلم ، اللواء وخاصة الحجم الكبير ، والسنجق يطلق ايضا على وحدة ادارية اصغر من الايالة محددة الرفع ، وكان على رأس السنجق مير لواء الذي عليه ان يقدم اثناء الحرب عدد من الجند حسب دخل اقطاعه الخاص .

(3) العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج4 ، بغداد ، 1949م ، ص281 - ص282.

(4) ساليانة : كلمة فارسية تعني السنوية ، أي انه يستلم راتباً سنوياً .

خلق ، ويرتفع هذا العدد الى 27 لواء و 6 نواحي في 1574-1575م ومن الالوية الاخرى رحمانية ، جارور ، بربر ، نهر عنتر ، حمار ، طاش كوبري (1) .

ثالثاً - آيالة الاحساء : استولى العثمانيون على الاحساء سنة 957هـ / 1550م ، ولم تقسم الى سناجق بل ظلت وحدة ادارية واحدة ، وقد اصبحت آيالة الاحساء ، من الايالات العراقية في عهد السلطان مراد الرابع ( 1640-1623م ) (2) .

رابعا آيالة الموصل : (( قسمت آيالة الموصل الى سناجق في عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566م) كما توضح ذلك سجلات الدولة العثمانية الخاصة بولاية الموصل ، فدفتر الطابو الذي يخص الموصل والمرقم 195 ، والذي يعود تأريخه الى ( 951 - 956هـ ) ( 1549-1544م ) يجعل الايالة خمسة سناجق هي : اسكي موصل ، تكريت ، زاخو ، عانة ، كشاف )) (3) .

خامسا - آيالة شهرزور : (( لم تتضح حدود هذه الايالة ، لأنها كانت مسرحاً للصدام المسلح بين الدولتين العثمانية والصفوية وتتقسم الى واحد وعشرين سنجقاً)) (4) على رأي بعض المؤرخين وقسم منهم يرى انها عشرون ، وهذه السناجق هي ( سروج او سروجك ، اربل ( اربيل ) ، كسنان ، شهربازار ، جنكولة ، جبل حميرين ، هزار مرد ، حرير ، رودين ، تيل طاري ، سبه زنجير ، ايردمان ، باق ، برنلي ، بلقاص ، اوشني ، قلعة غازي ، ماركاه ، حوران ، داودان (5) .

---

(1) علي شاكر علي ، المصدر السابق ، ص 22 ، ص 23 ، طاش كوبري : كلمة تركية بمعنى الجسر الحجري ، كان هذا اللواء يقع اسفل نقطة التقاء دجلة والفرات انظر : مراد ، خليل علي ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ، 1058 - 1164 هـ / 1638 - 1750م رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1975 ، ص 56 .

(2) علي شاكر علي ، المصدر نفسه ، ص 23 .

(3) المصدر نفسه ، ص 23 ، ص 24 0

(4) عباس العزاوي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 285 .

(5) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 285 .

(( اما شكل الجهاز الحكومي في هذه الايالات ، فإن ( الوالي ) الذي كان أحياناً برتبة وزير هو الحاكم الاعلى في الايالة ، وكانت صلاحيات والي بغداد ، اوسع من صلاحيات ولاة الايالات الاخرى ، فمثلاً كان يُسمح لوالي بغداد ، ان يستعمل سفناً شبيهة بتلك السفن التي يستعملها السلطان العثماني (1) ، كما له الحق في استخدام حرس من الصولاق (2) ، والبيكات (3) ، وان يعين بعض الموظفين دون الرجوع الى العاصمة ، كما له الحق في ان يحمل ثلاثة اطواغ في حين ان ولاة البصرة والموصل كان لهم الحق ان يحملوا طوغين فقط )) (4) .

كانت مهمة الوالي الرئيسية في الولاية ، هي ضمان استمرار ولاة الولاية للسلطان العثماني ، وتأمين العدل والامن والاشراف على تطبيق القوانين ، وقيادة الحملات العسكرية ضد القوى المناوئة للحكم العثماني حتى عُد مسؤولاً عن سير العمليات الحربية ، رغم استقلال قائد القوة العسكرية عن الوالي (5) . ويساعد الوالي في الولاية ، موظف يعرف بأسم كتخدا (6) الذي هو بمثابة معاون الوالي او مساعده لمختلف الشؤون العسكرية والسياسية

- 
- (1) جب ، هاملتون وهارولد بوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ج 1 ، ترجمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ، ( دار المعارف ، مصر ، 1970م ) ، ص 216 .
  - (2) الصولاق : كلمة قديمة بمعنى الاعسر ، وهذا الاسم اطلق في التنظيم الحربي القديم للدولة العثمانية على رماة السهام من حرس السلطان ، وكان الصولاق تابعين يقين للانكشارية ويسيرون على الاقدام ويحفون بالسلطان عند خروجه الى الحرب .
  - (3) البيكات : كلمة فارسية بمعنى الرسول ، ومفردها بك لقب تركي ، وهي (( بي )) في لغة العثمانيين القديمة ، واطلقت هذه الكلمة على فرقة عسكرية تابعة للانكشارية ، فكان يقود هذه الفرقة قائد برتبة (( بيك باشي )) ولهم ملابس تميزهم وكان ثلاثون منهم يحيطون بالسلطان حين سيره في موكب رسمي .
  - (4) الطوغ : شعار تركي قديم يتكون من علم ابيض يعلوه ذيل حصان يُحمل في اوقات الحرب .
  - (5) غرابية ، عبد الكريم محمود ، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ( 1918-1500 م ) ، ج 1 ، ( مطبعة جامعة دمشق ، 1960 ) ص 58 - ص 59 .
  - (6) كتخدا : كلمة فارسية بمعنى مختار القرية ، وقد تخفف الى كهية .

وبالإضافة الى كتحدا كان هناك الدفتر دار الذي كان مسؤولاً عن احوال الولاية ، ولم يكن يسمح للوالي المعزول او اي موظف اخر ان يغادر الولاية الا بعد ان يثبت براءة ذمته . وكان كل من الدفتر دار واغا الانكشارية (2) ، من الموظفين الذين كانوا لهم صفة المراجعة المباشرة للباب العالي (3) .

(( وللقاضي في الولاية ، مكانة مرموقة ، فهو يأتي في المركز الثاني في الولاية ، كما انه نائب السلطان العثماني ، والمسؤول عن تطبيق العدل بين الناس والاهتمام بالقضايا الشرعية مثل الزواج والوراثة وحفظ اموال اليتامى ، كما انه يحمل صلاحية الاشراف على جمع الضرائب ، ومراقبة الاسواق وتسعير السلع المتوفرة فيها ، ومراقبة سلوك الوالي ، فكثير ما وقف القاضي ضد الوالي بسبب جوره وتعسفه مع الناس ))(4) .

(( وكان يساعد القاضي في تنفيذ ما يصدره من اوامر موظفان احدهما يعرف بأسم (( صوباشي ))(5) ، وآخر ( احتساب أغاسي ) أي المحتسب ، بالإضافة الى الوالي والكتخدا والدفتر دار والقاضي واغا الانكشارية ، هناك (( المكتوبجي )) ( كاتب الرسائل ) ، ومهردار ، ( حامل الاختام ) ، والخزنة دار ( أمين الصندوق ) ، واحتشامات اغاسي ( رئيس التشريفات ) ، وميراخور ( رئيس الاسطبل ) وقبو جيلر اغاسي ( رئيس البوابين ) ، والروزنامجي ( كاتب الوقوعات اليومية ) وغيرهم من الموظفين الصغار ))(6) .

(1) غرايبة ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 61 .

(2) آغا الانكشارية : أي قائد الانكشارية ، والانكشارية كلمة تركية اصلها يكنجري ومعناها الجنود الجدد ، اسم يطلق على فرق المشاة النظاميين التي كونها العثمانيون في القرن الرابع عشر الميلادي ، واصبحت أكبر قوة عندهم مكنتهم من الفتوح الواسعة التي قاموا بها في ذلك القرن .

(3) علي شاكور علي ، المصدر السابق ص 26 .

(4) المصدر نفسه ، 26 ، ص 27 .

(5) صوباشي = لقب حربي قديم ، استخدم في سلك الشرطة واصبح للصوباشية اقطاعاتهم (تيمار) ، وكان لهم الاشراف على السباهية في الولايات ، واصبح الصوباشي من كبار ضباط الشرطة الذي يعاون (( الجاوش باشي )) رئيس الشرطة .

(6) غرايبة ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 60 .

كانت الحالة السياسية غير مستقرة في العراق ، اذ تميزت بكثرة الثورات والتمردات التي كان بعضها تُغذى من قبل الدولة الصفوية ، اذ تعاقب على حكم بغداد ولاية (1) ، كان لا يهتم سوى اشباع رغباتهم المادية عن طريق فرض ضرائب جائرة واستعمال القسوة في جبايتها . وكان البعض منهم لا يقف عن حد اشباع رغبته المادية بل يعتمد الى الانفراد بحكم الولاية في اطار التبعية الاسمية للسلطان العثماني .

كما كان البعض من هؤلاء الولاة قد وقع اسيراً بيد ذوي السلطة القوية في الولاية وهذا ما حدث فعلاً في العقد الثاني من القرن السابع عشر الميلادي فقد كان بكر صوباشي احد قواد الانكشارية في بغداد والذي كان تحت أمرته ألف ومئتان من العزاب (2) ، هو الحاكم الحقيقي بينما لم يكن ليوسف باشا من السلطة ما عدا الاسم (3) .

فقد ادى طغيان نفوذ بكر صوباشي الى نقمة كبار الانكشارية عليه ، والذين كانوا ينتظرون الفرصة السانحة للتخلص منه ، وقد وجدوا تلك الفرصة سنة 1031هـ / 1621م عندما خرج بكر صوباشي على رأس ثلثة من اتباعه الى منطقة الفرات الاوسط ، بعد ان أناب ابنه محمد اغا بلوك بدلاً عنه في بغداد (4) .

لقد وجد المعارضون لبكر صوباشي ان غياب خصمهم خير فرصة لهم للإطاحة به او ابعاده عن بغداد ، وكان على رأس هؤلاء محمد اغا قنبر الذي اجتمع مع بعض كبار

---

(1) انظر عن الحالة السياسية في العراق بعد السيطرة العثمانية الثانية : القهواتي ، حسين محمد ، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ( 1534 - 1638 م ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ( بغداد ، 1975م ص85- ص178 .

(2) العزاب : من الكلمة العربية الاعزب أي الشخص غير المتزوج وهم كانوا فرقة من مشاة الحدود ، وهم بمثابة قوات فدائية ، وكانوا يتقدمون الانكشارية اثناء الهجوم على العدو .

(3) المصدر نفسه ، ص86 .

(4) الاعظمي ، علي ظريف ، مختصر تاريخ بغداد ، ( بغداد ، 1927م ، ص179 ) .

الانكشارية واشراف المدينة ووضح لهم نوايا الصوباشي وانفراده بالسلطة ثم اعلن عن عزمه على التخلص منه و (( ان محمد أغا قنبر اتصل مع كهية صوباشي المدعو عمر ، وعرض



عليه منصباً مغرباً في حالة تعاونه معه ، وقد اظهر هذا استعداده الظاهري ، ولكنه من جانب آخر بدأ يعمل بصمت لحفظ سيده من عائلة رئيس العزاب )) فأخبر ابن بكر صوباشي عماد يحيكه رئيس العزاب ضد ابيه من مؤامرات فأسرع محمد الى الاتصال بابيه واحاطه علماً بأمر محمد أغا قنبر (1) .

توجه محمد اغا قنبر مع اتباعه نحو دار صوباشي فنهبها ، غير انه جوبه بمقاومة عنيفة من قبل ابن بكر صوباشي وكهيته الذين استطاعوا ان يجبروه على اللجوء الى القلعة الداخلية حيث كان يقيم والي بغداد يوسف باشا الذي كان متواطئاً معه (2) .

عندما تلقى بكر صوباشي خبر تمرد محمد اغا قنبر اسرع في العودة الى بغداد واول عمل قام به ان فرض حصاراً شديداً على القلعة ، وامر بقصفها من جميع الجوانب ، وقد قتل اثناء الحصار والي بغداد يوسف باشا ، واصبح بكر صوباشي بعد القضاء على التمرد سيد بغداد بلا منازع ، وكتب الى الباب العالي يطلب ان يُنعم عليه باشوية بغداد لقاء قضائه على التمرد الاخير (3) . لقد رفض الصدر الاعظم قرّة حسين باشا طلب صوباشي ومنح حكم بغداد الى سليمان باشا والي ديار بكر فأرسل هذا متسلمه علي اغا لإستلام الولاية ، ولكن بكر صوباشي رفض مقابلة المتسلم ، ولم يتورع في الرد عليه بكلمات نابية فرجع واخبر الصدر الاعظم بذلك فقرر قيادة حملة عسكرية لتأديب النائر بكر صوباشي (4) .

لقد فرض الجيش العثماني حصاراً شديداً على بغداد ، واصبح هلاك المحاصرين في بغداد قاب قوسين او ادنى، ما حدا بالتمرد صوباشي ان يبعث الى شاه ايران عباس الكبير

---

(1) علي شاكّر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ، ص 31 .

(2) المصدر نفسه ، ص 31 .

(3) جلبي ، عبد العزيز قرّة ، روضة الابرار المبين بحقائق الاخبار ( بولاق 1284هـ ) ، ص 557 ؛ المحبي ، محمد أمين ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، ( بيروت ، لات ) ج 1 ، ص 382 .

(4) علي شاكّر علي ، المصدر السابق ، ص 32 .

بواسطة حاكم لورستان حسين خان مفاتيح بغداد وفي الواقع ان الشاه كان يراقب عن كثب التطورات العسكرية في بغداد قبل اتصال بكر صوباشي به ، فالحدود الشرقية كانت تشهد

يوماً مزيداً من القوات الفارسية فجاء طلب صوباشي بمثابة الفرصة الذهبية للشاه الصفوي(1).

قرر قائد الحملة العثمانية حافظ احمد باشا بتغيير رأيه ومنح أياالة بغداد الى بكر صوباشي ، فبقاء بغداد بيد تائر علي السلطان افضل بكثير من ان تكون ولاية فارسية ، اما بكر صوباشي الذي ظن ان الامور اصبحت لصالحه رد على رسول الشاه بكل رقة واعلن انه مستعد لتحمل نفقات الحملة الايرانية الا ان الرسول اخبر الشاه بذلك والذي كان قد وصل لتوه الى اطراف بغداد في صيف 1623 / 1033هـ (2) .

فرض الجيش الصفوي حصاراً قاسياً على بغداد ، وقيل ان الشاه عباس عرض على صوباشي باشوية بغداد مقابل اعلان تبعيته الاسمية للدولة الصفوية غير ان صوباشي قد رفض ذلك بشدة واعلن عزمه في الدفاع عن بغداد وارسل رسائل الى الباب العالي والى حافظ باشا طالبا فيها الامدادات العسكرية للوقوف بوجه الهجوم الصفوي ، الا انه لم يلقى أذناً صاغية من لدن المسؤولين في الباب العالي (3) . استمر الحصار ثلاثة اشهر ، عانى اهل بغداد خلاله الامرين من جراء القحط الشديد والغلاء الفاحش حتى اكلوا الميتة ولحوم الدواب ، ولم يكن من المستغرب ازاء هذا الوضع المزري ان يتسلل الى معسكر الشاه كل ليلة اتباع صوباشي لينجوا بأنفسهم من مخالب الموت المحتم (4) .

(1) الحلبي ، مصطفى نعيمة ، تاريخ نعيما او روضة الحسين في اخبار الخافقين ، ( استانبول ، 1281 هـ ) ج 2 ، ص 277 .

(2) هامة ر ، جوزيف فون ، دولت عثمانية تاريخي ، ترجمة محمد عطا ، دار الخلافة العليا (استانبول ، 1335هـ ) ، ج 9 ، ص 19 .

(3) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج 4 ، ص 176 ؛ العمري ، ياسين بن خير الله ، زبدة الاثار الجليلة في الحوادث الارضية ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ( مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، 1974م ) ، ص 62 .

(4) ستيفن همليسي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ط 4 ، ترجمة المرحوم جعفر خياط ، بغداد ، 1968 ، ص 77 ؛ كلشن خلقا ، نقله من التركية ، موسى كاظم نورس ، النجف الاشرف ، 1971 ، ص 219 .

## 12

وقد تضاربت آراء المؤرخين حول كيفية دخول القوات الصفوية الى داخل بغداد ، ولقد قام الجيش الصفوي بقتل كل من يصادفه من اتباع صوباشي والقبض على الاخرين منهم وآلاف السكان الابرياء ومن سلم من القتل لم يسلم من التعذيب (1) . وقد تم اعدام بكر

صوباشي واخيه عمر ، وادت هذه الحركة الانفصالية الفاشلة الى وقوع بغداد فريسة بيد الصفويين ، ولم تقف الدولة العثمانية موقف المتفرج بل جردت الحملات الواحدة تلوا الاخرى في محاولة لاسترجاع بغداد من الصفويين (2) .

### حملة السلطان مراد الرابع 1048هـ - 1638م :

بدأت استعدادات الحملة في 8 شوال 1047 هـ / مارس 1638م وقد استغرق سيرها منذ خروجها من اسكودار حتى وصولها بغداد 197 يوماً قضى السلطان 76 يوماً في الاستراحة والاقامة في الطريق والباقي في الزحف (3) . شن الصدر الاعظم في 24 كانون الاول 1638م / 17 شعبان 1048هـ هجوماً كاسحاً ومن جميع الجهات ، وقد سقط قتيلاً اثناء الهجوم ، وشهد اليوم التالي دخول الجيوش العثمانية داخل بغداد بعد حصار دام اربعين يوماً (4) . لقد بقي السلطان مراد الرابع في بغداد بعض الوقت ، لإعادة تنظيم المدينة التي ظلت فترة غير قليلة تحت الحكم الصفوي ، فقد أمر بإجراء ترميمات في مرقد الامام الاعظم والشيخ عبد القادر الكيلاني ، كما اعاد تنظيم الجيش اذ أمر بمرابطة قسم من الانكسارية ، وبعض المدافع الضخمة وأمر الصدر الاعظم قرة مصطفى باشا البقاء في بغداد للاشراف مباشرة على تنظيم شؤونها ، وترك السلطان السلطان مراد الرابع بغداد 12 رمضان 1048هـ / 15 كانون الثاني 1639 (5) .

---

(1) المحبي ، خلاصة الاثر ، ج 1 ، ص 282 0

(2) المصدر نفسه ، ص 382 ، مصطفى نعيما الحلبي ، تاريخ نعيما ، ج 2 ، ص 289 .

(3) علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ، ص 61 .

(4) لونكريك ، المصدر السابق ، ص 96 ؛ مصطفى نعيما الحلبي ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 370 .

(5) الاعظمي ، مختصر تاريخ بغداد ، ص 193 .

& & &

## المبحث الثاني

### المسجد :

المسجد جمعه مساجد : كل مكان يسجد فيه ويتعبد (1) . وهو من الالفاظ الاسلامية التي لم تعرفها الجاهلية . فالاسم والمسمى جاء مع الدين الجديد ودلالة على مصلى الجماعة(2) ، وكما جاء في الحديث النبوي الشريف : (( وجعلت لنا الارض كلها مسجدا ))(3).

ويفسر الزركشي السبب في اختيار كلمة مسجد لمكان الصلاة ، فيقول : (( لما كان السجود أشرف الصلاة لقرب العبد من ربه ، اشتق اسم المكان منه ، فقليل مسجد ولم يقولوا مركع . ثم ان العرب خصصت المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس حتى يخرج المصلى المجمع فيه للأعياد ونحوها فلا يعطي حكمه وكذلك الربط (4) اما الجامع ، فهو المسجد الذي تؤدي فيه الجماعة صلاة الجمعة ولذا عرف بالجامع (5) .

كان المسجد حجر الزاوية في العمارة العربية الاسلامية ، التي بدأت ببناء أول مسجد اقيم في الاسلام هو مسجد (( قباء )) (6) ، ثم خطط اول مسجد في المدينة الذي صار نموذجاً اهتدى به المسلمون وساروا عليه في تخطيط المساجد في العالم العربي والاسلامي كله من المشرق الى المغرب . ومنذ هجرة الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم )

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، م3 ، ص204 0

(2) غالب ، المصدر السابق ، ص381 0

(3) المراكشي ( الشيخ محمد بن عبد الله ) ، بغية كل مسلم من صحيح الامام مسلم ، طبع الدار العربية ، 1989 ، ص39 0

(4) الزركشي : ( محمد بن عبد الله الزركشي ) ( 745 - 794 هـ ) ، اعلام المساجد بأخبار المساجد ، تحقيق فضيلة الشيخ ابو الوفا مصطفى المراغي ، القاهرة ، 1384هـ ، ص28 0

(5) ماهر ، المصدر السابق ، ص14 0

(6) شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، م1 ، ص55 ؛ مؤنس ، المصدر السابق ، ص56 0

وحتى العصور الاخيرة ما زالت تبني عليه بعض المساجد في العصر الحديث مع بعض التغيير في نسب وأحجام الظلات وطرق التسقيف وأساليب البناء مع الاحتفاظ بالفكرة الرئيسة لتخطيطه ، اذ يتكون المسجد غالباً من صحن رمزي مكشوف وظلات حوله في الجوانب الاربعة اكبرها ظلة القبلة (1) . وعلى هذه الفكرة بنيت الربط والمدارس والخانات والبيوت .

وبما ان المسجد هو بيت الله ، وهو ايضا بيت الجماعة ، وبيت كل واحد منها على حدة ، وهو الشيء الذي تملكه الجماعة مشتركة ، وان كان الذي بناه هو الخليفة والسلطان ، فكان مقرا للقضاء ومكانا للتقاضي ، ومعهدا للتعليم ، لأن العلم دائماً كان من اختصاص الجماعة (2) . وكانت المساجد تظل مفتوحة ليلاً ونهاراً ، وهي بحكم الشرع يجوز ان تكون مأوى لمن لا يجد له مسكناً وللمسافرين والمتعبدين أسوة بمسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم ) بالمدينة (3) .

ثم ان المسجد كان من الاماكن المفضلة لمعالجة المرضى ، حيث جاء في سيرة أحمد بن ابراهيم الجزار ، وهو من اعظم اطباء المسلمين وكان قيروانياً ، انه كان يخرج بعد صلاة العشاء ويقف على باب الجامع ليداوي المرضى من الفقراء ، وكان يصطحبه عبد يحمل اصناف الادوية فيعطيه منها ما يرى وكان يعمل ذلك حبا في الله وبراً بأمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم ) . وعلى هذا سار الكثيرون من صلحاء اهل الطب (4) . وهكذا بالنسبة للعديد من الربط والتكايا ومرادفاتهما . اتخذت ايضا اماكن لمعالجة المرضى او الحقت بها مرستانات (( مستشفيات )) .

---

(1) شافعي ، المصدر السابق ، ص 68 0

(2) مؤنس ، المصدر السابق ، ص 39 0

(3) متر ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 122-123 0

(4) مؤنس ، المصدر نفسه ، ص 40 0

وكان من عادة جماعة تجار المسلمين ، اذا تكرر نزولهم في موضع ابتنوا مسجداً ليكون مكان تجمع لهم ، فلا يلبث اهل الموضع ان يقبلوا على الجامع ويدخلوا في الاسلام في آسيا وافريقيا وبلاد ما وراء النهر ، فكانت تلك المساجد مرتكزات الزحف الاسلامي (1) . واذا اردنا ان نتعرف على طرق التجارة في هذه النواحي فعلياً ان نتبع خطوط المساجد ، التي اتخذ بعضها زوايا (2) ، وكذا الحال بالنسبة للزوايا (3) .

وفي رحلة ابن بطوطة تأكيد لهذا القول ، فكان يذكر العديد من الزوايا التي مر بها واقام اثناء رحلته الطويلة في شمال افريقيا ومصر وبلاد الشام وايران والعراق وبلاد ما وراء النهر ... وغيرها ، ويرجح ان تكون بعض الزوايا التي ورد ذكرها مساجد صغيرة ، كما هي العادة في تسمية بعض المساجد الصغيرة زوايا ، لأن عدداً من الزوايا بنيت على هيئة مساجد ، وانه لا فرق بين الزاوية والمسجد من حيث العمارة والوظيفة . اذ كان انشاء (( المساجد )) سبباً في الاعمار وانتشار الامن والطمأنينة والاستقرار بين الناس (4) .

ويذكر الدكتور عبد القادر الريحاني ان بعض المساجد المشيدة في العهد العثماني تشبه التكايا ، تضم مسجداً بمئذنة وقاعات للتدريس وحجرات لسكن الطلبة (5) . وجامع الخسروية في مدينة حلب ، هو اول بناء شيد في مدينة حلب على غرار الطراز العثماني ، وهو يشبه التكية في تخطيطه ، واقسامه المؤلفة من مسجد ومدرسة ومطبخ وحجرات للسكن تم بناؤه سنة (951هـ / 1544م ) حيث بناه الوزير خسرو باشا (6) . وما حدث في حلب نراه يتكرر في العديد من الاقطار العربية والاسلامية وفي اوقات زمنية مختلفة ، وبخاصة في مدينة بغداد ودمشق والقدس .

(1) مؤنس ، المصدر نفسه ، ص 41 0

(2) مؤنس ، المصدر نفسه ، ص 41 0

(3) مؤنس ، المصدر نفسه ، ص 40 0

(4) مؤنس ، المصدر نفسه ، ص 41 0

(5) الريحاوي ، المصدر السابق ، ص 233 0

(6) الريحاوي ، المصدر السابق ، ص 231 0

يقترن التعليم عند المسلمين عادة بالمساجد ، ولم يفصل عنها الا في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، حين أنشئت اولى المدارس المستقلة ، التي ظلت مرتبطة ارتباطا كبيرا بنظام المساجد ، اذ ان العناصر الرئيسية لتخطيط المسجد الجامع هي نفسها العناصر الرئيسية لتخطيط المدارس ، وهي اولا ، ان جدار القبلة هو قاعدة التخطيط ، وهو منه بمثابة المحور ، وثانيا ، ان بيت الصلاة ، وهو اهم بناء بالمسجد الجامع يمتد في موازاة هذا الجدار طولا اكثر من امتداده في اتجاهه عرضاً ، وثالثا ، انه يتوسط المسجد الجامع بهو مكشوف فسيح يطل عليه بيت الصلاة ويستمد منه الضوء والهواء ، ورابعا ، ان هذا البهو محاط بمجنبات ومؤخرة (1) .

ولم تكن المساجد قاصرة على تدريس العلوم الدينية والادبية ، بل كانت تدرس فيها العلوم الطبيعية (2) ، وكانت اولى المدارس المستقلة ، المدرسة النظامية ببغداد ، أسست سنة ( 457هـ / 1065م ) ، ثم فتحت ابوابها للتلاميذ بعد ذلك بسنتين (3) ومدرسة الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت سنة ( 459هـ / 1067م ) .

### المسجد والجامع :

ويحسن بنا باديء ذي بدء القاء الضوء على ما يحمل كل من هذه المصطلحات العمارية من معنى حقيقي ، أي ما وضع اللفظ بأزائه اصالة وهو يتكفل به علم المعاجم ، ثم المعنى الاصطلاحي الاستعمالي الذي تجاوزت اللغة فيه المعنى الاصلي .. فاستعمل اللفظ في غيره على سبيل الكناية وصولا الى الاصطلاح الذي يناسب فهم معنى العمارات التي اختيرت عنوانا لهذه الدراسة .

فنرى ان الاسلام احدث ثورة كبرى في حياة العرب والمسلمين في جميع مظاهرها الروحية والمادية . وان هذا التأثير لم يكن قاصرا على البيئة التي ترعرع فيها العربي في شبه

(1) فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج 2 ، العصر الايوبي ، ص 183 0

(2) معروف ، الدوري ، موجز تاريخ الحضارة العربية ، ص 155 0

(3) جواد ، سوسة ، دليل خارطة بغداد ، ص 154 0

الجزيرة العربية والشام والعراق ، وانما امتد الى الكثير من الاقطار والاقاليم الاخرى التي وصلوا اليها اثر حركة التحرير والفتوح فيما بعد (1) .

يعد المسجد النبوي الشريف في المدينة اول اثر عماري لأول مسجد أقيم في الاسلام ما تزال صورته ظاهرة بارزة وواضحة المعالم (2) . ويروى انه ما ان وطئت اقدم رسول الله ( صلى الله عليه وآله وسلم ) ارض المدينة حتى اقام جدران مسجد فيها ليكون بيتا لله ومركزا لدعايته الى الايمان (3) .

وكان العديد من المسلمين عند توافدهم على المدينة ينامون ويقضون ليلتهم فيه . ويروي عن طلحة بن عبد الله انه قال : (( كان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه ، فإن لم يكن بها عريف نزل الصفة ، وكنت فيمن نزل الصفة )) (4) . وفي وقت الحرب كانت تضرب فيه الخيام لإسعاف وارقاد المرضى والجرحى (5) . وايداع الاسرى (6) ، فضلا عن وظائفه الاخرى الدينية والاجتماعية .

وكان لهذه الابنية دورها الكبير والمؤثر في حياة المسلمين وحماية حضارتهم في كافة الميادين ، فاعتنوا بتلك الابنية من حيث مظهرها وعمارتها وزخرفتها عناية كبيرة حفزت المعماريين والفنانين المسلمين لإضفاء لمسات مميزة تدل على مضمونها ووظيفتها (7) .

---

(1) العميد ( طاهر مظفر ) ، عصر الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) والخلفاء الراشدين اول مدرسة عمارية في الاسلام ، بحث غير منشور 0

(2) فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، ص 167 0

(3) فكري المصدر نفسه ، ص 168 0

(4) السهروردي ، المصدر السابق ، ص 72 0

(5) بك ( احمد عيسى ) ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ( 1357هـ / 1939م ) ، ص 9 0

(6) العميد ، المصدر السابق 0

(7) كونل ، المصدر السابق ، ص 25 .



لقد شهد العراق نشوء اقدم الحضارات الانسانية منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا . وقد مدتنا التنقيبات بنماذج كثيرة من الاثار المادية ، كالأواني الفخارية والمعدنية والعاجية والجدارية .. وغيرها ، وهي تعد بحق رصيد كبير للأساليب الفنية التي تزخر بها الحضارة العراقية ، والتي تثبت قدم وأصالة هذه الحضارة ، وان جميع النماذج الفنية التي وصلتنا تعكس الواقع والبيئة التي كان يعيش فيها العراقيون القدماء .

وعند ظهور الاسلام لم يكن الفن الاسلامي قد تبلور بعد طراز معين ، بل كان في مرحلة الاستعانة بالفنون التي سبقته ، وبذلك فتح الاسلام الازدهار الى اهمية الفن الجميل في الحياة (1) . ويستدل من طابع الزخرفة العربية الاسلامية ان مقوماتها وجذورها مستمدة من واقع الحياة روح الدين الاسلامي ، والفن الاسلامي فن له هدف يختلف عن هدف الفنون التي تقدمته وله شخصية قوية متميزة تتجلى في الاثار المنقولة التي خلفها العرب والمسلمون في شتى بقاع العالم العربي والاسلامي ، التي ما زالت تزدان بها اكبر متاحف العالم (2) .

والواقع ان الفنون الزخرفية تعد من الفنون الانسانية الواسعة الانتشارية زماناً ومكاناً ، ويمكننا اعتبارها مرآة عكست روحية الدين الاسلامي 0 ولقد اسهمت كثير من العوامل على انتاج التراث الزخرفي الاسلامي الغزير ، والذي يمتاز بالتنوع الشديد مع احتفاظه بوحدة ظاهرة ، سواء في خصائصه العامة ام التفصيلية ومن هذه العوامل الميل الكبير نحو تزيين الكثير من الاعمال الثابتة والمنقولة بها اضافة القيمة الفنية والجمالية عليها ، هذا فضلا عن تأثير القرآن الكريم ، حيث اصبح ميدانا خصبا لظهور الابداعات الفنية والزخرفية (3) .

---

(1) مرزوق ، الفنون الزخرفية في مصر قبل الفاطميين ، ص 8 0

(2) مرزوق ، الفن الاسلامي تاريخه وخصائصه ، ص 10 0

(3) مرزوق ، المصدر السابق ، ص 6 0

وكذلك تأثير المسار التي اسهمت بدورها في استقطاب اهتمام الفنانين وعنايتهم الابداعية ، وبالتالي إثراء وتطوير وتحقيق الكثير من الابتكارات الفنية والزخرفية والعمارية (1)

. فكان اهم العوامل اثر في غزارة التراث الزخرفي ، وان ما نشاهده من حلية زخرفية في كل من المباني العربية والاسلامية ، التي ما زالت قائمة في العديد من الاقطار العربية والاسلامية ما هي الاستمرار للأساليب الفنية التي كانت سائدة في العراق ، كان ذلك في العصور القديمة الاسلامية وبخاصة العباسية منها .

اما العثمانيون ، فقد ورثوا سلاجقة الروم في وطنهم وساروا على منهجهم في فنونهم الزخرفية ، وقد لعبوا في العالم الاسلامي - شرقا وغربه - دورا كبيرا ، كان ابلغ الاثر في حياة المسلمين عامة (2) ، وبخاصة بعد فتح القسطنطينية التي كانت نقطة تحول في تاريخ العالم (3) ، سيما في مجال الفنون الزخرفية والعمارة وان ما صنعه الانسان المسلم يشهد له بحسن الذوق ورهافة الحس وحبه ولا فرق عنده في هذا المجال بين المباني الدينية والمدنية . وكانت لهم اساليبهم الخاصة ، ومن ابرزها العناصر الزخرفية ، والتي شملت موضوعات مختلفة ومنها :

- 1- الزخارف النباتية .
- 2- الزخارف الهندسية .
- 3- الزخارف الكتابية .

---

(1) اسماعيل (عز الدين ) الفن الاسلامي ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1974 ، ص 68 0  
(2) مرزوق ، الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني ، ص 17 0  
(3) مرزوق ، المصدر نفسه ، ص 33 0

جوامع بغداد خلال الحكم العثماني أنموذجاً :

أولاً - جامع المرادية : وهو يمثل الطراز المعماري الأول :

يعرف جامع المرادية بجامع الميدان لوقوعه في محلة الميدان القائمة في باب المعظم مقابل مبنى وزارة الدفاع، أمر بإنشاء هذا الجامع الوالي مراد باشا سنة (978هـ/1571م)<sup>(1)</sup> الذي قام بأعمال عمرانية كثيرة.

لا تشير المصادر التاريخية إلى تاريخ البدء في بناء الجامع، كما أننا لم نعثر على كتابات منقوشة على جدران المبنى تذكر لنا تاريخ البدء في البناء<sup>(2)</sup>، إلا أن الشاعر فضلي بن الشاعر فضولي ذكر لنا تاريخ البناء بأبياته الشعرية التي أنشدها في حفلة افتتاح المبنى، وذلك سنة 978هـ/1570م. وأشار الألووسي إلى أن هذه الأبيات دونت على واجهة باب مبنى الجامع بخط الخطاط حسن علي الكاشاني، ولما جددت عمارته أتلقت هذه النصوص. وهذه الأبيات تؤيد ما ذكر بأن تاريخ الانتهاء من البناء كان سنة 978هـ/1570م، وهذا ما تؤيده النصوص التاريخية التي أشار إليها الرحالة ومنهم أوليا جلبي.

وقد مرّ على بناء الجامع أحداث كثيرة، منها صيانة المبنى عام 1307هـ/1889م من قبل الحاج حسن رفيق باشا<sup>(3)</sup>، وفي عهد الوالي نامق باشا جدد بناء الجامع. ونتيجة للدمار والخراب الذي أصاب الجامع أصدر السلطان عبد الحميد خان الثاني بن السلطان عبد المجيد أمره بإعادة بناء الجامع على أسسه القديمة، وكان ذلك سنة 1319هـ/1901م، واستمر العمل فيه حتى سنة 1320هـ/1902م كما هو مدون على واجهة مدخل الجامع. وهذه الكتابة تمثل أبياتاً من الشعر أنشدها الشاعر عبد القادر البغدادي في ذكرى الانتهاء من بناء الجامع، وفي آخر الأبيات دونت سنة (1321هـ/1903م).

---

(1) كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، 1967، ج 1، ص 144.

(2) القصيري، د. اعتماد، مساجد بغداد خلال العهد العثماني، ج 1، ص 245.

(3) ابن حبيب الشاوي، محمود ابن سلطان، مخطوط ولاية بغداد، رقمه في دار المخطوطات: 10657، ص 79.

### الوصف المعماري للمبنى:

يعتبر جامع المرادية من أجمل وأشهر الجوامع التي أقيمت في تلك المرحلة التاريخي، ويعده الألووسي مفخرة لبغداد. ونظراً لجمال زخارفه، فهو يعتبر أحد عجائبها من حيث متانة

البناء وارتفاعه. وهو جامع كبير يشغل مساحة مقدارها 1899 متراً مربعاً، يتألف من بيت الصلاة الذي يحتل قطعة من الأرض مستطيلة الشكل قياسها 40/51/10م. ويشتمل المصلى على أربعة أعمدة رخامية، قسمت بيت الصلاة إلى ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، أوسعها البلاطة الوسطى التي بلغ عرضها 10م، في حين بلغ عرض البلاطة الجانبية 4م. يعلو هذه الأعمدة تيجان ذات شكل مخروطي ناقص، وهذا النوع من التيجان يعد من مميزات عمارة مساجد بغداد التي بنيت في تلك الحقبة، إذ نجدها في بناء جامع سيد سلطان علي، وجامع الخاصكي، وفوق هذه الأعمدة الأربعة تقوم ستة عقود مدببة قائمة بصورة عمودية على جدار القبلة.

ولكي يتمكن المعمار من تحويل الجزء العلوي من المربع إلى مثنى لإقامة القبلة، أقام عقداً آخرَ في الزوايا الأربع لبلاطة المحراب. تحصر هذه العقود بين أكتافها مثلثات كروية، وقد قسمت هذه المثلثات إلى صفوف من المقرنصات ذات مستويات مختلفة، يتوج كل مثلث من هذه المثلثات أنصاف المقرنص. ونتج عن إقامة هذه المثلثات تحويل الجزء العلوي المربع لبلاطة المحراب إلى مدور لإقامة الرقبة التي تركز عليها القبلة.

#### المدرسة:

كما قلنا سابقاً، يطل الرواق على فناء واسع يحيط به مجنبات. احتوت هذه المجنبات على مجموعة من الغرف والقاعات، ودورات المياه، ومحل للوضوء، وفي أرضية هذه المباني سابقاً كانت تقوم مدرسة الجامع<sup>(1)</sup> التي خصصت لتدريس العلوم العقلية والفقهية. واستناداً إلى المصادر التاريخية، فقد بقيت هذه المدرسة قائمة فترة طويلة، وأن آخر من

---

(1) الألوسي، سالم، مخطوط أخبار بغداد وما جاورها من البلاد، رقمه في سجل دار المخطوطات 155، ج 1، ص

درس فيها العالم قاسم القيسي مفتي بغداد<sup>(1)</sup>، وهذه المدرسة هدمت مع بعض المباني الأخرى .

إن فكرة إقامة المدارس ضمن بناء الجامع جاءت نتيجة حتمية لكثرة بناء المساجد والجموع في المدينة الواحدة. ولم تبق الحاجة إلى بناء مساجد كبرى، فصغرت مساحتها وأدخلت فيها المدارس، فأصبح الغرض من بناء المسجد مزدوجاً ؛ لأداء فريضة الصلاة والتعليم في آن واحد. ومن بين المساجد التي احتوت على مدرسة، جامع الوزير الخاصكي، والأحمدي، والحيدرخانه الذي احتوى على مدرستين هما المدرسة الداودية ومدرسة الحيدرخانه، وجامع الأصفية الذي احتوى هو الآخر على مدرستين أيضاً<sup>(2)</sup>.

ومدرسة جامع المرادية التي نحن بصدد الحديث عنها أزيلت في فترة متأخرة، وذلك عند توسيع الشارع العام المؤدي إلى شارع الرشيد، وهذا أدى أيضاً إلى إزالة الباب الخارجي للجامع القائم قبالة مبنى وزارة الدفاع، فاستحدث باب حديث البناء. وللجامع باب آخر أقيم في المجنبه الشرقية بني على غرار الباب سالف الذكر، وكسيت الواجهة العليا منه ببلاطات خزفية، ودون عليها أبيات من الشعر بخط الثالث تشير إلى تاريخ إعادة بناء الجامع من قبل السلطان عبد الحميد سنة (1901م)، ودون اسم السلطان عبد الحميد بخط الطغراء.

### ثانياً - جامع الأحمدية : وهو يمثل الطراز المعماري الثاني :

يتمثل هذا الطراز في بناء جامع الأحمدية وجامع الحيدرخانه الذي بناه الوالي داود باشا سنة (1242هـ/1826م)، ولما كان وجه الشبه كبيراً بينهما من حيث التخطيط الأرضي والعناصر العمارية ، فقد اقتصر حديثنا على جامع الأحمدية. عرف بجامع الميدان لأنه يطل على ساحة الميدان، ولوقوعه في محل الميدان، وهي من محلات مدينة بغداد القديمة، كما عرف بجامع الأحمدية نسبة إلى بانيه أحمد باشا كتحدا سليمان باشا الكبير الذي

---

(1) عبادة، عبد الحميد بن بكر، مخطوط العقد اللامع في نكر بعض الآثار والمساجد والجموع، رقمه في دار المخطوطات 2670 ، ص 41.

(2) المصدر السابق، ص 42.

حكم العراق ما بين سنة (1193-1227هـ). أمر أحمد باشا بإنشاء هذا الجامع عام (1210هـ/1795م)، ولم يكتمل البناء في عهده، وأكمّله من بعده أخوه عبد الله آغا<sup>(1)</sup>. وقد مرت على المبنى أحداث كثيرة منها، قيام الوالي داود باشا بتجديد الكتابات والنقوش القائمة

على واجهة المبنى سنة 1247هـ/1831م<sup>(2)</sup>. وفي عهد الوالي مدحت باشا هدمت غرف المدرسة وأضيفت أرضيتها إلى الشارع العام، كما جدد بناء بيت الصلاة سنة (137هـ/1893م) استناداً إلى كتابة مدونة على رقبة قبة بلاط المحراب، وفي العهد الملكي أمر الملك فيصل الأول أن يخصص هذا الجامع لصلاة الجمعة فقط<sup>(3)</sup>.

يقوم مبنى الجامع على قطعة من الأرض مستطيلة الشكل تقدر مساحتها بـ (3344م<sup>2</sup>)، تحتوي على بيت للصلاة مساحته 240م<sup>2</sup>، أقيمت فيه أربع دعائم ضخمة، وضعت هذه الدعائم بحيث تشكل ثلاث بلاطات، أوسعها البلاطة الوسطى (القاعة الوسطى) بلغ عرضها 11م وعرض البلاطة الجانبية 3.7م، وبلغ ارتفاع هذه الدعائم من مستوى أرضية المصلى إلى أرضية المحفل المحيط ببلاطة المحراب أربعة أمتار، وتستمر هذه الدعائم في الارتفاع من فوق أرضية المحفل، وقد جعلت هذه الدعائم ضخمة لكي تقدر على تحمل القبة الضخمة التي ترتكز عليها.

ومن ملحقات بناء الجامع المدرسة التي أقيمت في مجنبات الفناء الذي يطل عليه الرواق. وتؤكد لنا معظم المراجع أن المدرسة من إنشاء أحمد باشا، وليست من الأبنية الملحقة بالمبنى<sup>(4)</sup>، وقد وصف لنا الألوسي هذه المدرسة بقوله: في جنوب المصلى من الجهة الجنوبية مدرسة بدیعة الوضع، وهي ذات طابقين؛ طابق علوي، وفيه غرف للمدرسة وأخرى للطلبة، ثم خزانة لكتبها التي اشتملت على كل فن.

---

(1) الألوسي، محمود شكري، مخطوط مختصر في ذكر تواريخ مساجد بغداد، رقمه في دار المخطوطات 30384، ج3، ص 18.

(2) ملف جامع الأحمدی، محفوظ في ديوان وزارة الأوقاف رقمه 15.

(3) مخطوط العقد اللامع، ص 59.

(4) الألوسي، المصدر السابق، ص 6.

أما الطابق السفلي، فقد احتوى على حجرات يسكنها الفقراء والغرباء وطلاب العلم. ودرس في هذه المدرسة علماء أكفاء، وتخرج منها علماء فضلاء، ولها شهرة في تخرج

الطلبة، وآخر من درس فيها محمود الوتري. ونتيجة لإهمال المبنى وعدم العناية به، فقد تهدمت معظم مواقعها. وكان هذا عام 1972<sup>(1)</sup>.

مما أدى إلى اتساع مساحة الفناء الذي يطل عليه بيت الصلاة. وقد أحيط فناء الجامع، بما فيه المباني القائمة، بسور سمكه نصف متر وارتفاعه خمسة أمتار، وجميع هذه الأسوار تمثل الجدران الأولى التي أقيمت عند إنشاء الجامع، وقد فتحت فيها أبواب كبيرة الحجم بلغ عددها ثلاثة، أحدها يتوسط الضلع الجنوبي، والآخر الضلع الشمالي، والثالث في الضلع الغربي. وكل باب يقوم داخل دهليز مقبى. وقد تهدمت الواجهة الأصلية لهذه المداخل وأعيد بناءها من جديد في الآونة الأخيرة، نخص منها بالذكر واجهة المدخل المطل على مبنى وزارة الدفاع الذي بني سنة 1390<sup>(2)</sup>.

---

(1) العقد اللامع، ص 9.

(2) الديوة جي، جوامع الموصل، ص 163.

& & &

## المبحث الثالث

### ما معنى «المئذنة» وما أهميتها في العمارة الإسلامية؟

المئذنة في اللغة العربية هي مكان الأذان والإعلام عنه، أو مكان تأدية الأذان والمناداة إلى الصلاة، وفي الماضي كان كثير من المآذن مزودا بالقناديل المضيئة، ما جعلها منارات تهدي المسافرين في ظلمة الليل، لذلك فإن الباحثين العرب يطلقون على المآذن «المنارات»، ومن الأهمية أن نشير في هذا الصدد إلى أن المئذنة كانت تستخدم في بعض الأحيان، في إعلان بيانات الدولة وقراراتها التي يعلنها الحاكم أو خليفة المسلمين. ومع مرور الزمن باتت المئذنة تشكل قطاعاً قائماً بذاته في فن العمارة الإسلامية، فأولها المعماريون عناية كبيرة وأبدعوا في تصميمها وتنفيذها وارتفاعاتها، حتى إنها وصلت في بعض الأحيان إلى عشرات من الأمتار، وكذلك أبدعوا في الشكل الجمالي وزخارف البناء والنقوش الإسلامية البديعة، وأخذت المآذن أشكالاً شتى ما بين مدورة ومضلعة ومربعة، وتتناسب قاعدة المئذنة طرداً مع ارتفاعها، وبداخلها يوجد سلم حلزوني يصعد من خلاله المؤذن إلى شرفة المئذنة ويقف وينادي للصلاة (1).

ويرتفع شامخاً فوق قاعدة تعلو السطح بمقدار معين، ويتألف من قسمين، سفلي ويؤلف قاعدة المنار، وهو على هيئة مربع، والقسم العلوي يمثل البرج الاسطواني، وينتهي المنار عادة ببرج صغير مربع الشكل ذو نهاية مخروطية ويؤدي وظيفة الأذان والهداية إلى المسجد خاصة في شهر رمضان عند الإفطار والامساك. والشكل العام له هو الاسطواني (2).

في أي مدينة ظهرت المآذن للمرة الأولى، وكيف كان شكلها؟. ظهرت المآذن للمرة الأولى في مدينة دمشق (الشام)، العاصمة السورية حالياً، حيث أُنشئت للصلاة من أبراج المعبد القديم الذي قام على أنقاضه فيما بعد «المسجد الأموي» الشهير في دمشق، وكانت هذه الأبراج هي الأصل الذي بنيت على منواله المآذن الأولى في العمارة الإسلامية، لاسيما في

(1) شافعي، العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ص 177.

(2) العميد، المصدر السابق، ص 131، 134.



مصر والشام وبلاد المغرب. وكانت المآذن في بداية العصر الإسلامي بسيطة في طريقة بنائها، فكانت مربعة القطاع حتى الشرفة الأولى ثم تستمر على هذا الشكل، وأحيانا على شكل ثماني الأضلاع، ويلى ذلك شكل مثنى أو دائري وتنتهي في قمتها بقبة صغيرة، أما في العصر الذهبي في الإسلام الذي شهد تطورات في مختلف المجالات فكانت المآذن تقام على قاعدة مربعة ترتفع قليلاً أعلى سقف المسجد، وبعد ذلك تتحول إلى شكل ثماني الأضلاع إلى الشرفة الأولى، وكان يُزين كل ضلع من هذه الأضلاع الثمانية بقبة صغيرة مزودة بأعمدة لها نهاية مثلثة الشكل، وذات شرفة واحدة (1) .

خلاف تاريخي \*يقال إن هناك خلافاً حول تاريخ أول مئذنة.. فكيف حدث ذلك؟ . هذا صحيح.. فهناك خلاف بين المؤرخين والأثريين العرب والمسلمين حول تاريخ أول مئذنة، هناك رأي يؤكد بأن أول مئذنة ظهرت في عصر الخليفة الرابع عثمان بن عفان، وهناك من يقول إن هذه المئذنة الأولى أنشئت في العصر الأموي، في عصر زياد بن أبيه عامل معاوية بن أبي سفيان، بينما يذكر المؤرخ الكبير المقرئ أن أول مئذنة في الإسلام هي صوامع جامع عمرو بن العاص الأربع بالقاهرة، التي بناها «مسلمة بن مخلد» والي مصر في زمن حكم الأمويين (2) .

هل معنى ذلك أنه لم تكن هناك مآذن على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ لا لم تكن هناك مآذن على عهد الرسول، ولم يكن هناك اهتمام بالمئذنة عند إقامة المساجد آنذاك، فقد كان بلال بن رباح، رضي الله عنه، يقف على سطح المسجد ويؤذن، وذلك هو المعروف والمشهور عنه، فلم يكن البناء المعماري للمئذنة قد عرف بعد، لكنه عرف بعد ذلك وأصبحت المئذنة تشكل ركناً أساسياً في عمارة المسجد لا يكتمل بناء أي مسجد دونها (3) .

(1) الرفاعي (أنور) تاريخ الفن عند المسلمين ، دار الفكر ، بيروت ( 1397هـ / 1977م ) ، ص 107 .

(2) محمد (محمود وصفي) ، المصدر السابق ، ص 44 .

(3) شافعي ، العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ص 190 .

هناك من يقول إن المسلات الفرعونية قد تماثل فكرة المئذنة، فهل ربما امتدت فكرة المئذنة من ذلك العصر؟ لا شك في أن الفراعنة هم ملوك الفنون المعمارية، ومنذ القدم تعتبر المسلة كرة شموخ البناء نحو الارتفاع لأعلى، وربما تشبه المئذنة المسلة من الوجهة النفسية البنائية من حيث مسألة الارتفاع في البناء بما يشبهه في البناء القلم الرصاص، لكن الحقيقة الواضحة أن المئذنة أصبحت تشكل معماراً إسلامياً فريداً قائماً بذاته ويتمتع بنوع من الخصوصية الحضارية والمعمارية الإسلامية، بحيث إن أي دارس للعمارة الإسلامية لا يمكنه أن يتجاهل المآذن ومكانتها وأشكالها المتنوعة والتي تبرز إلى أي حد ازدهرت هذه الحضارة العريقة (1).

ما أوجه الاختلاف بين المآذن من الناحية المعمارية؟ تمثل «مئذنة الجيوشي» بالمقطم في مصر، نموذجاً مهماً لشرح تطور المآذن، وهي تتكون من قاعدة مربعة يعلوها مئذنة ينتهي بمبخر، وهي محتفظة إلى الآن بكامل زخارفها القديمة حيث كانت تتسم مآذن ذلك العصر بهذا الشكل، ومن هنا تطور شكل المئذنة، ثم تطور فن المآذن مع عصر المماليك حيث أصبح الطابق العلوي من المئذنة مستديراً، وتطور ذلك إلى قاعدة مربعة يليها جزء مئذنة، ثم جزء مستدير ذو «جوسق» أقيم على أعمدة تسمى «قلل»، مثل مئذنة قبة مسجد «سلار وسنجر الجاولي» بالقاهرة، ومع الوقت اتجهت قاعدة المئذنة إلى الانخفاض قليلاً مثل قاعدة جامع «المارداني» وجامع «برقوق»، وارتفع الجزء الأوسط الثماني كمئذنة مدرسة منصور قلاوون بالناحسين في منطقة القاهرة القديمة (2).

وفي نهاية القرن الثامن الهجري ظهرت مآذن في مصر ذات رؤوس مزدوجة بصليية الشكل، مثل مئذنة (قايتباي الرماح) ومئذنة مسجد الغوري ذات الأربعة رؤوس في أعلى القمة. وتطور فن المآذن في العصر العثماني حيث زادت في إسطنبول وفي شتى البلاد الإسلامية، طولاً وارتفاعاً وقلت مساحتها وضخامتها بعض الشيء، وتعددت أضلاعها

(1) شافعي، العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ص 177.

(2) شافعي، العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ص 195.

واتسمت بانتهائها بقمة مخروطية مدببة تشبه بشكل كبير القلم الرصاص، واستمرت المئذنة بهذا الشكل حتى عهد أسرة «محمد علي» ومثالها في مصر جامع محمد علي بالقلعة، حيث تظهر سمات هذا العصر بالغة وواضحة للغاية (1) .

## تطور المآذن

كيف تطورت المآذن الإسلامية من عصر إسلامي إلى آخر؟ إن التكوين المعماري للمئذنة يختلف كما سبق وأوضحنا من عصر إلى آخر، إلا أنه حدث أيضاً تطور على بناء المآذن في العصر الأموي، وتلخص التكوين المعماري للمئذنة الأموية في جسم مربع يرتفع عن بناء المسجد، ولقد انتقل هذا الطراز عبر البلاد العربية من المغرب العربي إلى بلاد الأندلس، ويمثل هذا الطراز مسجد «القيروان» في تونس. ولم تقف العمارة الإسلامية في بلاد المشرق عند الشكل المربع للمئذنة إلا أن الشكل تطور بدرجة كبيرة (2) .

حيث حدث اختلاف في تصميم المآذن؛ فالمئذنة الحلزونية مثلاً ظهرت في مدينة «سامراء» بالعراق، ومئذنة جامع أحمد بن طولون في القاهرة أطلق عليها اسم المئذنة الملوية، كما ظهرت المآذن ذات المسقط الدائري والمنجم والمصلفة أو المخروطية أو الأسطوانية، وفي الأناضول بتركيا كان نموذج المئذنة ذلك الذي يضيق لأعلى (3) .

ما هي مكونات المئذنة (4) .. وأين تقع الشرفة فيها وما هي وظيفتها؟! يتم الدخول إلى المئذنة من مدخل يكون داخل الصحن ثم درج الصعود، وهو عادة يكون حلزونياً داخلياً يدور حول محور المئذنة ويصل إلى الشرفات المرتفعة التي تحيط ببدن المئذنة، ولموقع الشرفة ودورانها وظيفة مهمة حيث يقف المؤذن عليها ليرفع الأذان، ويجب أن تحيط الشرفة

(1) عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص 367 .

(2) الرفاعي ، تاريخ الفن عند المسلمين ، ص 121 .

(3) شافعي ، العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ص 190 .

(4) محمود وصفي ، المصدر السابق ، ص 53 .

بالمئذنة ليدور المؤذن معلناً نداء الحق إلى كل الجهات الأربع. وجزء آخر يمثل ركناً ركيناً في المئذنة وهو «الجوسق»، وتعلوه قبة المئذنة التي تنتهي بهلال تتجه فتحته نحو القبلة، ومن الطريف أن مئذنة جامع أحمد بن طولون في مصر كانت مزودة بشكل خوذة على شكل سفن النيل تدور مع الشمس أو الهواء وتضاء ليلة النصف من شعبان<sup>(1)</sup>.

ومن هنا نرى أن المعماري المسلم حقق فكرة الاتجاه لأعلى بطريقة درامية في ابتكاره للمئذنة، ومن الجدير بالذكر أنه في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط وهو أول مسجد أسس في مصر بعد فتحها كان الجرس في البداية هو أداة إعلان الأذان، ثم بدأ الأذان يرتفع بصورته المعروفة الآن، حيث يقوم المؤذن بالإعلان عن قيام الصلاة والمناداة لها.

### مواد بناء المآذن

هل كانت هناك مواد بناء معينة تستخدم في بناء وعمارة المئذنة؟ مادة البناء في المآذن تختلف من عصر لعصر ومن مكان إلى آخر، ففي مصر والمغرب العربي والشام تم بناؤها من الحجر نظراً لتوافر ذلك في البيئة المحلية، وفي العراق كان يستخدم الطابوق والطين في بناء المآذن، كما كان يستخدم الخشب في صناعتها وتشبيدها. ما أطول مئذنة في العالم، وما أكثر مسجد توجد به مآذن في الدول الإسلامية؟ أطول مئذنة في العصر الحالي هي مئذنة مسجد الحسن الثاني بالمغرب ثم مئذنة جامع الفتح برمسيس في القاهرة وفي الهند مئذنة «قطر منار»، أما أكثر مسجد به مآذن في العالم فهو المسجد النبوي الشريف ويصل عددها إلى عشر مآذن، يليه المسجد الحرام المبارك حيث يوجد تسع مآذن، ثم المسجد الأزرق في اسطنبول بتركيا وتصل مآذنه إلى ست<sup>(2)</sup>.

كانت «المئذنة» إحدى الحلقات المهمة التي تجلت من خلالها العمارة الإسلامية، والتي أظهر فيها المعماري المسلم فنه وإبداعاته. وحول فنون عمارة المآذن وأهميتها وتاريخها ومكانتها في العمارة الإسلامية. فضل كل بلد، أنواعاً مختلفة من العقود عن البلد الآخر وهي

(1) محمود وصفي، المصدر السابق، ص 53.

(2) المصدر نفسه، ص 54.

وهي تعرف بـ«الأرشات» أو «عُكُوم»، وهي أكبر تعبير عن فن العمارة الإسلامية، حيث كانت المساجد تبنى قديماً على شكل صحن مكشوف وحوله إيوانات مسقوفة أهمها إيوان القبلة أو بيت الصلاة، وكان لهذه العقود دور مهم في تجديد طراز العمارة الإسلامية، ولهذه العقود أشكال مختلفة من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر، فمنها العقود نصف الدائري، ومنها الدائري المرتد الذي يشبه حدوة الفرس وغيرها الكثير (1).

### الملاقف الهوائية :

تعد الملاقف الهوائية (( البادكيرات )) إحدى المعالجات العامرية المهمة التي توصل المعمار العراقي الى معرفتها منذ ازمان بعيدة وتوظيفها في العديد من الابنية الدينية والمدنية لمعالجة ارتفاع درجة الحرارة وخلق جو يستطيع بموجبه ان يخفف من درجة الحرارة داخل المبنى فاهتدى الى ابتكار هذه المعالجة النابعة من صميم واقع الحياة العراقية .

والملاقف الهوائية عبارة عن مجار هوائية تعمل على جلب الهواء من السطح الى داخل الحجر والسراييب ، عن طريق فتحات خاصة تقع اعلى الستارة ، ، وهي ذات تصميم خاص ترتفع عن مستوى السطح بنحو (1,5- 2 مترا ) وتكون فتحاتها مواجهة لهبوب الرياح الشمالية الغربية (2) . وينتهي منافذها عند الحجر والسراييب بفتحات ذات ابعاد مختلفة حسب مساحة الحجر او السرداب ، وينتهي بعضها في البيوت البغدادية بحفرة عميقة تقع اسفل فتحة الملقف تغطي بمشبك من الخشب او الحديد تسمى (( الزنبور )) . وهذه المجاري الهوائية عبارة عن تجويف مستقيم ، واحيانا متعرج تعتريه اربع او خمس كسرات (( انحناءات )) ، وبعملية التنافذ هذه يتغير هواء السرداب(3) . ولهذا ، وبسبب

(1) المصدر السابق ، ص 54 .

(2) الحجية ، المصدر السابق ، ص 125 0

(3) الانصاري : ( مهدي حمودي ) ، العمارات الشعبية في الكاظمية ، التراث الشعبي ، العدد السادس ، السنة السادسة

، 1975 ، ص 150 0

الظروف المناخية السائدة في العراق ، نرى زيادة التوجه الى توظيف هذا العنصر العماري في العديد من المباني المشيدة في المرحلة العثمانية فنراه في البيوت والمدارس والخانات والتكايا .

تقع فتحات هذه الملاقف الهوائية في الجانب الشرقي من الحجرة تتناوب مع الدخلات ، وهي ذات ابعاد تكون مساوية لأبعاد الدخلات التي تزين الحجرة الا انها اكثر عمقا منها ، ويتوجها عقد نصف دائري ، وتظهر بقايا فتحتها العليا في السطح بمستوى الستارة . وتمتاز هذه الملاقف بتنوع العقود التي تعلوها في الداخل والخارج وتختلف من مبنى لأخر ، فنجد العقد نصف الدائري ، والمدبب ، والمنبطح ، والثلاثي والمفصص ، وقد اختيرت هذه العقود بحيث تتناسب وتتماشى مع العقود المستعملة في المبنى 0 اما فائدتها فلم تقتصر على تبريد الحجرات والسراديب فحسب ، بل تتعداها الى فوائد اخرى منها تبريد مياه الشرب والاطعمة والفواكه ، والتخلص من الدخان الناتج عن التدفئة في فصل الشتاء .

ان هذا العنصر العماري ليس بجديد ، فقد عرفته حضارة وادي الرافدين منذ ازمان بعيدة ، فقد استخدمه الاشوريون والبابليون في المعابد والقصور<sup>(1)</sup> ، وفي العصور الاسلامية استخدمت على نطاق واسع وكانت لها مسميات خاصة كثيرة تتناسب وطبيعتها منها : (( رواق النسيم )) او (( رواق الهواء )) ، و (( الباذنج ))<sup>(2)</sup> . وهناك العديد من الادلة المادية ما زالت قائمة في عدد من العمائر المشيدة في العصر العباسي في السرايب، منها: قصر المعتصم بسامراء ، وفي العديد من البيوت السكنية<sup>(3)</sup> ، ومن العصر العباسي المتأخر ، وفي العصر العباسي 0 والمدرسة المستنصرية<sup>(4)</sup> ولم ينقطع استخدام هذا العنصر في الفترات اللاحقة وصولا للمرحلة العثمانية .

(1) كولدفاي ( روبرت ) ديستل ( فريدريش ) ، القلاع الملكية في بابل ، ج 1 ، ترجمة الدكتورة نوال خورشيد ، مطابع جامعة الموصل ، 1985 ، ص 82 0

(2) الغزولي ( علاء الدين علي بن عبد الله البهائي ) ، ( ت 815 هـ / 1412 م ) ، مطابع البذور في منازل السرور ، ج 1 ، مطبعة ادارة الوطن ، ص 45 0

(3) القاضي ، المصدر السابق ، ص 110 0

(4) حيدر ( كامل محمد ) المدارس العباسية القائمة في العراق ، تخطيطها وعمارتها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد 1986 ، ص 79 ، 108 0

## السلالم :

السلم : جمعه سلالم وسلاليم : المرقاة ، وهو ما يرتقي عليه ، سواء كان من خشب او من حجر او مدر (1) . وفي تبويب المجمع العلمي العراقي لبعض المصطلحات العمارية جاء : السلم مرقاة او درج متنقل ، ويتخذ من خشب او معدن ، ويصعد عليه الى الاماكن مرقاة او درج متنقل ، ويتخذ من خشب او معدن ، ويصعد عليه الى الاماكن العالية (2) . والدرج : واحدتها الدرجة : وهي ما يرتقي فيه ، ويكون في الغالب ثابتاً (3) .

وعلى هذا واستنادا الى تبويب المجمع العلمي العراقي ، فالاحرى بنا ان نفرق بين السلم والدرج من حيث صناعته ، اما الوظيفة ، فهي واحدة ، سواء كان من هذه المادة او تلك ، وسواء كان ثابتا ام متحركا ، وقد استخدم كل نوع في المكان المناسب وبخاصة في التكايا ، حيث استطعنا من خلال دراستنا لعدد من التكايا ان نتبين وجود الدرج في اماكن خاصة وثابتة ، وقد أنشئ مع المبنى واستخدمت نفس المادة الانشائية التي شيد بها المبنى في بنائه ، وهي الاجر في الوسط والجنوب والحجارة في الشمال والغرب .

ان هذا العنصر العماري ليس بجديد على العمارة العراقية ، فقد استخدم وعلى نطاق واسع في جميع الابنية الدينية والمدنية والعسكرية ومنذ ازمان بعيدة ، حيث اظهرت التنقيبات الاثرية في العديد من المواقع الاثرية القديمة والاسلامية نماذج كثيرة ، بحيث لا يخلو أي مبنى من وجود درج او اكثر في المبنى الواحد ، منها ما كشف عنه في تل الصوان في الالف الخامس ق0م . وما كشف عنه في تل قالح أغا من عصر الوركاء فهو يمتاز بأنه يتكون من منحدر ترابي يؤدي الى سطح المبنى (4) ، وفي مدينة أور عثر على العديد من

(1) البستاني ، المصدر السابق ، ص988 ، معلوف ، المصدر السابق ، ص248 0

(2) عواد ( كوركيس ) ، الفاظ الحضارة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م29 ، 1978 ، مطبعة المجمع العلمي

العراقي ، 1978 ، ص253 0

(3) المصدر نفسه ، ص253 0

(4) جحارة ( اسماعيل ) التنقيب في تل قالح أغا ، اربيل الموسم الرابع ، 1970 ، سومر ، ج1 ، 2 ، م20 ،

1973 ، ص16-18 0

والعمارة الاسلامية غنية بهذا العنصر نراه ممثلا في المباني التي ما زالت قائمة منها القصر العباسي ، والمدرسة المستنصرية ، ومن الفترة الجلائرية في خان مرجان ، وفي غيرها من المباني ، هذا فضلا عما نشاهده في المآذن والتي يمتاز بعضها بوجود درجتين يدوران في باطنها باتجاهين متعاكسين احدهما لا يرى الصاعد عليه النازل منه ، كما هو الحال في مئذنة جامع الخلفاء ببغداد (2) .

ومئذنة الجامع النوري بالموصل (3) ، ومئذنة أربيل (4) ، والسبب على ما يبدو هو تنبه المعمار الى ضرورة تخفيف الثقل على القاعدة الناتج من ارتفاعها الشاهق وضخامتها المتناهية ، لذا عالج هذه الناحية باستحداث درجتين احدهما يبدأ من القاعدة المكعبة ، والاخر من البدن الاسطواني لا يلتقيان الا في اعلى الحوض (5) . وقد انتقلت هذه الظاهرة العمارية من العراق الى مصر في عصر المماليك ، حيث تمثلت في مئذنة خانقاه الامير ((قوصون)) بصحراء السيوطي سنة (726هـ / 1336م) (6) ، ومئذنة الغوري بجامع الازهر (975هـ/1510م) بها درجان حلزونيان لا يرى فيها الصاعد النازل (7) .

ووجدت هذه الظاهرة في مئذنة عبد الرحمن الناصر في جامع قرطبة (340هـ/951م) . حيث كان ينقسم قلب المئذنة الى قسمين مستقلين ، كل منها مستطيل الشكل يفصل بينهما جدار ، ولكل قسم درج قائم بذاته يدور حول كتلة من البناء مستطيلة

---

(1) وولي ، المصدر السابق ، ص 78 0

(2) الجنابي (كاظم) ، مئذنة سوق الغزل ، دار الجمهورية ، بغداد ، 1966 ، ص 4 0

(3) المصدر نفسه ، ص 4 ؛ الجمعة ، المآذن ، موسوعة الموصل الحضارية ، ج 3 ، ص 299 .

(4) المصدر نفسه ، ص 299 .

(5) المصدر نفسه ، ص 299 .

(6) عبد الوهاب ، حسن ، من روائع العمارة الاسلامية في مصر ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ،

1965 ، ص 309 .

(7) صالح لمعي مصطفى ، المصدر السابق ، ص 41 .



الشكل ولكل قسم باب مستقل ، فباب القسم الشرقي يفتح على صحن الجامع ، أما باب القسم الغربي فيفتح على الطريق المؤدي للجدار الشمالي للجامع ويتحد الدرجان بأعلى السطح الذي ينتهي بقمة مقببة (1) .

وقد استمر هذا العنصر العماري في العمارة العراقية المتأخرة وصولاً للمرحلة العثمانية التي أمتازت بكثرة استخدامها والتفنن في اختيار الامكان المناسبة له . وقد استخدمت مواد إنشائية في بنائه وبحسب طبيعة المنطقة المشيد فيها المبنى .

---

(1) سامح ، العمارة في صدر الاسلام ، ص 175 .

& & &

## المبحث الرابع المدخل والابواب

المدخل هو موضوع الدخول<sup>(1)</sup> . والباب ما يسد المدخل ويغلق به من الخشب وغيره<sup>(2)</sup>. ويذكر ابن منظور تحت مادة (( دخل )) الدخول نقيض الخروج ، أدخل يدخل دخولا وتدخل ودخل به<sup>(3)</sup> . ويقال دخول دخولا ومدخلا الدار : ضد خرج وقيل : دخل الباب أو دخل على الباب<sup>(4)</sup> . وعلى هذا يكون المدخل ، هو الموضع أو الحيز الذي يجتاز من خلاله المكان الذي يحدد به ، وهو مفتاح المبنى ، وحلقة الاتصال الموصلة بين داخل المبنى وخارجه ، وقد رافق الانسان منذ بداية استيطانه واتخذ اشكالاً عدة . ولا يخلو أي مبنى مهما كان شكله او نوعه من وجود مدخل او اكثر في المبنى الواحد كانت له اشكال عدة 0 وبما انه المنفذ المؤدي الى داخل المبنى ، فقد اختلف في شكله وسعته وموقعه واسلوب عمارته ، وحسب طبيعة المبنى ، ومن اهم المداخل :  
1- المدخل المنكسر :

يعتمد تصميم هذا النوع من المداخل على عزل مرافق المبنى ، لا سيما صحنه عن الخارج لتحقيق اغراض بيئية واجتماعية 0 وقد رافق العمارة العراقية منذ ازمان بعيدة 0 وكان من العناصر المميزة لها ، وقد استخدم بكثرة في البيوت البغدادية والعراقية لأهميته الاجتماعية ، الا وهي المحافظة على حرمة البيت ومنع العابر الغريب من التطفل على ما يجري داخل الصحن ، كما ان الذي داخل البيت لا يستطيع رؤية العابرين . وان الداخل قبل وصوله الصحن لا بد من تغيير اتجاهه بزواوية قائمة مرة في الاقل . وذلك لوقوع المدخل الخارجي في احدى جهتي المبنى ، وهو بذلك يستغرق وقتا حتى يصل الى الصحن ، هذا فضلا عن اهميته في المحافظة على نظافة المبنى بمنع تيارات الغبار من التأثير على جو المبنى ، وفضلا عن هذا كله ، فانه يوفر فرص الدفاع عن المبنى اذا ما حدثت مشاكل او

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 955 0

(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج 1 ، ص 320 0

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 955-956 0

(4) دزي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 301 0

فتن داخلية او خارجية (1) .

ان هذا العنصر المعماري ليس بجديد على العمارة العراقية ، فقد عرف في قرية تل الصواف ، في حدود ( 6000 ق0م ) (2) . وفي البيوت الدائرية المعروفة بالثولوس في حدود ( 5000ق0م ) (3) . وفي معابد أريبدو من دوري الوركاء وجمدة نصر (4) . وفي منطقة ديالى معبد ( أبو ) في تل أسمر (5) . وفي بعض بيوت السكنى في مدينة بابل من العصر البابلي الحديث(6) . وفي مدينة الحضر العربية (7) .

اما في العمارة العربية الاسلامية ، فقد تميزت مداخل الابنية العامة والقصور بضخامتها ، بينما مداخل الابنية الاخرى قد تحكمت بها عدة عوامل جعلتها تتخذ شكلا يتناسب وطبيعتها ، وامكانية القائم بالبناء وطبيعة المواد الانشائية . ومن ابرز واقدم النماذج لهذا النوع من المداخل ما اظهرته التتقيبات الاثرية في دار الامارة بالكوفة ، يعود تاريخه للعصر الاسلامي المبكر (8) . وقد تبلور هذا الطراز وبأعلى صورة وبشكل مبتكر في ابواب مدينة بغداد المدورة . واستمر هذا العنصر العماري المبتكر بعد بغداد وظهر في البيوت العربية الاسلامية في العديد من الاقطار العربية والاسلامية ، وهي لا تختلف عما ورد في كتب الرحلات وما هو قائم الان في العديد من المدن العراقية في الوسط والشمال والجنوب .

(1) شافعي ، العمارة العربية في مصر الاسلامية ، م1 ، ص 435 .

(2) يوخما ( دوني جورج ) عمارة الالف السادس قبل الميلاد في تل الصواف - رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد 1986 ، ص 58 0

(3) مهدي ( علي محمد ) دور المعبد في المجتمع العراقي من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، 1975 ، ص 76 .

(4) المصدر نفسه ، ص 60 0

(5) مورتكارت ( انطون ) الفن في العراق القديم ، ترجمة د0عيسى سلمان ، سليم طه التكريتي ، مطبعة الاديب البغدادية ، بغداد ، 1975 ، ص 65 0

(6) رويتر ( اوسكار ) بابل المدينة الداخلية ( المركز ) ، ترجمة د0 نوال خورشيد ، د0علي يحيى منصور ، مطبعة جامعة الموصل ، 1985 ، ص 86 0

(7) الشمس ( ماجد عبد الله ) الحضر العاصمة العربية ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1988 ، ص 146 0

(8) العفاري ( داخل مجهول ) ، مداخل الدور والقصور في العراق حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، 1987 ، ص 24 0

ومن ابرز هذه النماذج ما كشف عنه في مدينة سامراء بالعراق (1) والفسطاط بمصر (2) ، وعثر على نماذج منه في المرحلة الاتابكية والايوبية في بلاد الشام ومصر في نحو القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (3) .

ومن ابرز الامثلة في بغداد ما نجده ممثلا في المدخل الرئيس للقصر العباسي ببغداد ، وفي الباب الوسطاني ، وهما من ابنية المائة السادسة للهجرة من عهد الخليفة الناصر لدين الله (4) 00 وصولا للمرحلة العثمانية .

## 2- المدخل ذات المحور المستقيم :

يتصف هذا النوع بأن المدخل الرئيس يتعامد مع الصحن ويردي اليه مباشرة وقد استخدم في العديد من المباني الدينية والمدنية ، وفي المساجد والمدارس والخانات والحمامات والبيوت والتكايا وبدرجات متفاوتة . وقد عرف هذا الطراز في العمارة العراقية القديمة ، نجده ممثلا في بعض بيوت تل الصوان ، وفي العديد من المباني العراقي وبخاصة المعابد (5) .

وفي العصور الاسلامية نراه ممثلا في دار الامارة بالكوفة ، وفي قصر العباسية المشتى ، وحصن الاخضر ، وفي العصور العباسية المتأخرة ، نراه ممثلا في المدرسة المستنصرية ، وخان مرجان ... ومبان أخرى كثيرة 0 فضلا عن هذين التصميمين الاساسيين ، فقد اتخذت المداخل اشكالا عدة حسب طبيعة المبنى ونوعية المواد الانشائية ، منها ما يؤدي الى رواق (( طارمة )) تختلف في سعتها وطبيعة تكوينها من مبنى الى آخر .

(1) مديرية الاثار القديمة ، حفريات سامراء ( 1936 - 1939 م ) ، ج 1 ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، 1940 ، 28 0

(2) شافعي ، العمارة مربية في مصر الاسلامية ، م 1 ، ص 435 0

(3) المصدر نفسه ، ص 435 0

(4) فرنسيس ( بشير ) ، بغداد تاريخها وآثارها ، مطبعة الرابطة ، 1959 ، ص 12 0

(5) باقر ( طه ) معابد العراق القديمة ، سومر ، المجلد الثالث ، الجزء الاول ، مطبعة التفيض بغداد ، 1947 ،

ص 12 ، 37 0

ان جميع هذه المساجد تمتاز مداخلها بالبساطة وعدم الاسراف في عمارتها وزخرفتها ، فهي تشبه في مظهرها العام مداخل البيوت البغدادية ، من حيث موقعها وسعتها وطبيعية الابواب التي تسدها ، وهي في الغالب ذات مدخل رئيس واحد يتوسط الواجهة او يقع في جانب منها .

تسد فتحات مداخل المساجد ابواب خشبية قديمة ، منها ذات مصراع واحد وهي الاقدم ، قوامها الواح خشبية سميكة مثبتة على انصاف اعمدة بشكل عمودي او افقي بواسطة مسامير حديد كبيرة رؤوس محدبة (1) ، او مربعة واحيانا مثمانية ، وزعت بشكل هندسي يتناسب وطبيعة الباب وشكله ، منها على هيئة صفوف افقية او عمودية تتخللها اشكال وطبيعة الباب وشكله ، منها على هيئة صفوف افقية او عمودية تتخللها اشكال رباعية ومثلثات . وهذه المسامير كانت تثبت على الباب مباشرة او على صفائح معدنية تغطي جميع الباب او جزء منه على هيئة اشربة افقية او عمودية ، اتخذت اساسا لعمل تشكيلات زخرفية بواسطة المسامير .

وهذا النوع من الابواب ليس له اطار ، بل كانت الباب تثبت في الجدار مباشرة على جانبي المدخل وتدور في قاعدتها على صنارة ، وفي الغالب مصنوعة من الحجارة ، وفي اعلاها داخل حلقة من الحديد ، ويتوسط جانبها السائب مغلاق من الخشب استبدل في عهد الاحتلال البريطاني للعراق بقل كبير من الحديد ما زال مستعملا في بعض الابواب القديمة ، والابواب الاحداث ذات مصراعين وهمي مزينة في الغالب بزخارف نباتية بارزة بعضها مشطوف بشكل فني منسجم ومتناسق مع الباب وما يحيط به ، وهي مزودة بمطارق من الحديد او البرونز وباشكال متنوعة ، وقد انتشر هذا النوع من الابواب في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي .

---

(1) الوتري ( منير محمود ) الحقيبة البنديجية والتعليقات الشخصية ، طبعة الجاحظ ، بغداد ، 1994 ، ص 36 0

وبعد ذلك ، استبدلت معظم الابواب القديمة بنوعها في التكايا والمساجد والخانات والبيوت بأخرى حديثة مصنوعة من الخشب او الحديد ، وهذا المنطق يسري على جميع الابواب الخارجية والداخلية وفي جميع ارجاء العراق .

## الصحن :

يعد نظام الساحة المكشوفة (( الصحن )) من ابرز العناصر العمارية التي واكبت الكثير من المباني الدينية والمدنية والعسكرية ، وقد عرفت في العراق منذ ازمان بعيدة (1) 0 حيث اظهرت التنقيبات الاثرية في العديد من المواقع الاثرية القديمة والاسلامية ، وجود الساحة المكشوفة ( الصحن ) بأشكال مختلفة تتوسط معظم المباني وتؤدي وظائف عدة . ان هذا النظام ، على الرغم من قدمه وملاءمته للظروف المناخية والاجتماعية في العراق ومعظم ارجاء العالم العربي والاسلامي .

كان العنصر الاساس عند تصميم أي مبنى ، وهو معالجة عمارية ناجحة نابغة من صميم الفكر العربي واستجابة صريحة لمقتضيات مناخ المنطقة ، والصحن الجيد هو الذي يبنى على قياسات تقلص وقت وصول اشعة الشمس اليه . وهو فضلا عن هذا وذاك ساحة خدمات تمارس فيه وتتجز معظم خدمات المبنى ، وقد اثبتت التجارب ان الصحن اكثر التصاميم ملاءمة بما له من امكانية عالية لسد حاجات واستعمالات متباينة 0 ويعد الحجر الاساس عند تصميم أي مبنى (2) . ويكون في الجوامع والمساجد ، مكان لإقامة الصلوات والافكار والاحتفالات الدينية ، ولهذا كانت له اهميته الخاصة من الناحية الدينية والخدمية .

(1) مورتكارت ، المصدر السابق ، ص 200 0

(2) الاشعب ( خائص ) ، الاثر الوظيفي في طراز البيت العربي ، مجلة الكتاب ، العدد الثامن ، السنة التاسعة ، آب ، 1975 ، مطبعة الجمهورية ، بغداد ، 1975 ، ص 72 0

من الامور المسلم بها والتي لا تقبل الشك ان العراق كان سباقا في اختراع البناء بالعقود والاقبية ، وقد اثبتت التنقيبات الاثرية في العديد من المواقع الاثرية ما يؤكد ذلك . نشأت العقود مع بداية الاستيطان وبناء البيوت الثابتة المستقرة 0 ويرى بعض المختصين بالدراسات الاثرية ان البدايات الاولى لاستخدام العقود في العمارة العراقية كان في بيوت القصب(1) ، وعلى هيئة عقود نصف دائرية او نصف بيضة او مدببة (2) ، حيث كانت تشد حزمة القصب وتثبت في الارض بشكل عمودي ثم تتحني نحو الداخل وتربط سوية في الاعلى لتشكل السقف الذي يغطي بطبقة من الطين (3) ، وعلى الرغم من فقدان الدلائل المادية لتلك الابنية بسبب تلف موادها ، الا ان تقنية مثل هذه التراكيب ما تزال تستخدم في جنوب العراق (4) .

وبمرور الزمن تطور العقد مع تطور الانسان واستخدامه مواد جديدة وابتكار اساليب جديدة في انشاء مبانيه ، وخاصة بعد ان توصل الى صناعة اللبن الذي شاع وكثر استخدامه ، وان معظم الامثلة التي وصلت الينا شيدت بهذه المادة واستمر استعماله حتى بعد استعمال الآجر (5) .

واظهرت التنقيبات الاثرية التي قامت بها الهيئات العراقية والاجنبية في بقايا المدن العراقية القديمة عن نماذج متعددة من العقود استخدمها العراقيون في ابنتهم تعد الاصل الذي

- 
- (1) بارو (( اندريا )) بلاد آشور ونيوى وبابل ، ترجمة د0علي يحيى منصور ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 ، ص 233 0
  - (2) الياور (( طلعت )) العقود في العراق أصول وتطور ، بحث غير منشور 0
  - (3) وولي ، المصدر السابق ، ص 19 0
  - (4) الصالحي (( واثق )) القبو والايوان ، العمارة العربية قبل الاسلام وأثرها في العراق بعد الاسلام ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، دار الحكمة للطباعة ، الموصل ، 1990 ، ص 12 0
  - (5) المصدر نفسه ، ص 12 0

أخذ عنه في العهود اللاحقة وصولا للمرحلة العثمانية وبخاصة في التكايا والجوامع والمساجد والخانات والبيوت ، ومن ابرز هذه العقود :

## 1-العقد المدبب :

لقد لعب هذا النوع من العقود دورا هاما في العمارة العربية والاسلامية منذ عصورها المبكرة وحتى يومنا هذا 0 وقد استخدم بكثرة لأغراض عمارية وجمالية في داخل المباني وخارجها ، اعلى الابواب والنوافذ ، وفي الاواوين والدخلات والمحاريب ، وفتحات الملاقف الهوائية داخل الحجرات والسراديب وفي السطح ، واستخدمت كعقود صماء لتزيين الواجهات الداخلية ، وعلى درجات مختلفة من السعة والارتفاع تتناسب وطبيعة المبنى والغرض من وجوده .

وقد فضل العرب المسلمون والعراقيون بشكل خاص هذا النوع من العقود في المراحل التاريخية كافة ، وذلك لما يمتاز به من مواصفات عمارية وجمالية اعطت هذه الافضلية ، منها قوته على تحمل الضغط والثقل والدفع عليه ، حيث يتم توزيعه على الاكتاف ومركزه بصورة متساوية ، ولهذا نرى كثرة استخدامه في العمارة العراقية الدينية والمدنية والعسكرية ، وفي اماكن مختلفة من المبنى وبمواد انشائية مختلفة ، ويكاد لا يخلو أي مبنى مهما كانت هويته من وجود هذا النوع من العقود اضافة الى الانواع الاخرى .

## العقد نصف الدائري :

هو العقد الذي يكون على شكل نصف دائرة ليس فيها أي اثر للذبب او الانكسار ويرسم على شكل نصف دائرة فتحتها هو قطر الدائرة وارتفاعه بقدر نصف قطرها (1) . وهو اما مفرد او مزدوج ان هذا النوع من العقود عراقي الاصل ، ظهر في العراق وانتشر منه في مسار الاقاليم المجاورة بشكل او بآخر ، وقد اثبتت ذلك التنقيبات في العديد من المواد

(1) فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ، ص 120 0

الاثرية / وكان هو المعول عليه في العمارة العربية الاسلامية المبكرة ، الا انه الفترات اللاحقة قل استعماله ، وذلك لابتكار العرب المسلمين انواعا جديدة العقود انتشرت في المشرق والمغرب ، اذ انه من الناحية الفنية لا يعطي الارتياح المطلوب لغرض اقامة القباب



عليه ، كما هو الحال في العقد المدبب وليس له الامكانية التي تتوفر في العقد المدبب على تحمل الضغط والنقل الناجم عن القباب وتوزيعها على اجزاء العقد .

كما لا يسمح بإدخال كمية كافية من الضوء والهواء الى داخل المبنى كما في العقد المدبب ، لهذا نرى ان استخدامه كان محدود وقد اقتصر على تتويج فتحات النوافذ والدخلات وفتحات الملاقف الهوائية داخل الحجرات والسرديب ، وعند السطح ، وفي بعض المداخل والممرات والاروقة وقد استخدم جنبا الى جنب مع بقية العقود في معظم المباني المشيدة في المرحلة العثمانية .

### العقد المنبطح :

وهو عبارة عن قوس غير متكامل ، وهو الجزء الاقوي من العقد المقوس (1) ، ويعد أحد العقود العربية الاسلامية المشتقة مع العقد نصف الدائري 0 وقد تمكن البنائون من ان يستبدلوا احيانا بعقود الابواب والنوافذ عتبات افقية ، وذلك ابتكار الصنج المعشقة واستخدام هذا العقد لتخفيف الضغط على لعتبات (2) .

ان استعمال هذا النوع من العقود محدود ونماذجه قليلة اذا ما قورنت بالعقود الاخرى وبخاصة في العمارة العربية الاسلامية في كافة المراحل التاريخية ، وان وجوده هو نتيجة لتطور العقود العربية الاسلامية التي كان منبعها اصلا العقد نصف الدائري وهو العقد الذي كان منتشرا قبل الاسلام وفي العصر الاسلامي المبكر، وهو الاصل الذي أخذ عنه الرومان

(1) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 81 0

(2) فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج 1 ، ص 158 0

واستخدم في مجالات متعددة ولأغراض متنوعة (1) .

ومن ابرز الاماكن التي استخدم فيها هذا النوع من العقود ، المداخل وبخاصة الداخلية منها والنوافذ والدخلات ، وبعض فتحات الملاقف الهوائية ، ولم يقتصر وجودها

على نوع من الابنية ، فنراه ممثلا في الجوامع والمساجد والتكايا والبيوت والخانات والاسواق والقيصريات والحمامات ومباني الحكومة ، وفي العديد من المباني المشيدة في المرحلة العثمانية .

### الاقبية :

لقد اجمع معظم علماء الاثار العرب والاجانب منهم ، على ان العقود والاقبية نشأت في الاصل في الاراضي الرخوة ( المستنقعات ) ، فكان النموذج الاول يتمثل في بناء حزم القصب التي تغرس في الارض وتثبت بشكل عمودي ثم تتجني نحو الداخل وترتبط سورية من الاعلى السقف الذي يتألف من عقود متتالية نصف دائرية او بيضية او مدببة تغطيها الحصر ثم تغطي بطبقة من الطين (2) .

ان هذا الطراز من البناء ربما كان من بقايا وسيطة من مراحل تطور البناء بالاقبية ، وفي خاتمة المطاف اتجه معظم البنائين في الشرق الادنى الى اعتماد مادة بنائية اكثر ديمومة يمكن استخدامها في المباني الكبيرة وهي الطوب الطيني المجفف بحرارة الشمس ( اللبن ) . لذلك كانت جميع العقود والاقبية الباقية في الشرق الادنى مصنوعة من اللبن (3) ، والسبب في اقبال الناس على استخدام اللبن في التسقيف هو المناخ الجاف الذي يجعل من اللبن مادة نموذجية وهو الذي يجعل طراز الاقبية الاسلوب الامثل لبناء السقوف ، فالسقف المعقود يسمح بارتفاع الهواء الساخن الى الاعلى اكثر مما يسمح بها السقف

---

(1) بيك (ك.و.فان ) العقود والاقبية في الشرق الادنى القديم ، مجلة العلوم ، العدد ( 24 ) ، المجلد (4) ، الكويت ، نيسان ، 1988 ، ص 6 0

(2) وولي ، المصدر السابق ، ص 16 0

(3) بيك ، المصدر السابق ، ص 6 0

المستوي وهذا ما يساعد على ابقاء مكان المعيشة اكثر برودة ، والاهم من ذلك هو ندرة الاخشاب للتسقيف ، فالاقبية المصنوعة من اللبن لا تحتاج الى دعائم خشبية وهذا ما يجعلها اقتصادية وطريقة متميزة في تغطية المباني (1) .

وحتى بعد ان اهتدى الانسان الى استخدام الاجر ظلت معظم المباني تبني باللبن والطين ، وقد استخدم اللبن ثم الاجر بأسلوب معين فوق جدران الحجرات ، بحيث يشكل قبوا اسطوانيا او قبة دائرية او بيضوية (2) ، وقد عرف العراقيون هذا النوع من التسقيف في موقع ( تبة كورة ) في شمال العراق في النصف الثاني من الالف الرابع ق0م ، وفي جنوب العراق جاءت اهم الاقبية من مدينة أور في المقابر الملكية (3) .

وقد استمر هذا الاسلوب من التسقيف في جنوب العراق وشماله وبالمواد الانشائية نفسها ، منها ما عثر عليه في قصر الملك ( أورنمو ) وولده ( شولكي ) وحفيدة ( نرام سن ) من النوع المعقود بالاجر وبأسلوب العقادة التدريجية ( التطنيف ) التي كانت تخلق في النهاية قبوا طويلا فوق الحجرة يقوم البناء بلبخها بمادة الطين او الجص لمليء فراغات التدرج فيحولها الى قبو نصف اسطواني (4) ، وفي هذا النوع من الاقبية كان اللبن او الاجر يبني بطريقة ابراز صفوف اللبن او الاجر تدريجيا ( كوريل ) ، فكانت كل طبقة ترصف افقيا ، بحيث تبرز كل طبقة عن الطبقة الواقعة اسفلها ، كما هو الحال في تل رزوق ( 2900 ق0م ) (5) ، وفي تل الرماح قرب تلغفر ( 2100 ق0م ) (6) ، ومن العهد

(1) المصدر نفسه ، ص 8 0

(2) سعيد (مؤيد ) ، الاصل العراقي القديم للعمارة الاسلامية في العراق أصالة المعالجات المعمارية والتخطيطية عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، الدورة الرابعة للتعليم المستمر ، ( 6-4/11/1986 ) ، مطبعة دار الحكمة ، الموصل ، 1990 0

(3) المصدر نفسه ، ص 187 0

(4) بيك ، المصدر السابق ، ص 10 0

(5) الشمس ، المصدر السابق ، ص 106 0

(6) الشمس ، فن العمارة في تل الرماح ، التراث الشعبي ، العدد 11 ، السنة الثامنة ، 1977 ، ص 106 0

## 48

الاشوري الامبراطوري في قنطرة جروانة(1) ، وفي قصر آشور ناصر بال الثاني في نمرود ( كالح ) ، هذا فضلا عن وجود نماذج اخرى كثيرة من ابرزها بوابات المدن الاشورية ، منها قبوة بوابة ( أدد ) (2) والحضر من المدن العربية المعروفة التي اتبع فيها هذا الطراز ، حيث استفاد المعمار الحضري من خبرة المعمار العراقي ، وبخاصة الاشوري في هذا المجال .

اما في العمارة العربية الاسلامية ، فقد استخدمت في عهود مبكرة نراها ممثلة في قصيرة عمره ، وحمام الصرح ، وفي العصر العباسي الاول استخدم القبو نصف الاسطواناني ممثلا في حصن الاخضر ، ويحتمل انه استخدم في ابنية بغداد المدورة ومن وصف ( روس ) لقصر المعتصم ( الجوسق الخاقاني ) الذي بنى على غرار قصور بغداد يدعى ( الجب)(3) .

وفي العصر العباسي الاخير نرى كثرة استخدامه ، منها ما هو قائم ، كما هو الحال في القصر العباسي ببغداد ، والمدرسة المستنصرية وفي المرحلة الجلائرية استخدم في تسقيف جميع الحجرات والغرفات في خان مرجان فضلا عن البهو الكبير ، وبعد هذا التاريخ استمر استخدامه وصولا للمرحلة العثمانية التي ازدهرت فيها بعض الاساليب العمارية والفنية ، منها بناء القباب والتسقيف والاقبية التي اتخذت اشكالا عدة .

واتبع في بنائها الاسلوب المحلي السائد الذي يرجع في تاريخه الى اقدم الازمنة ، منها ، القبو المدبب الذي اتخذ شكل العقود الحامل للسقف ، اذ لم يقتصر وجوده في مبنى معين دون غيره فنجده في الجوامع والمساجد والتكايا والخانات والاسواق والقيساريات والحمامات ، وبدرجات متفاوتة ممثلة في عدد من الحجرات والغرفات والسرديب والاروقة 0 وقد استخدم في انشائه مواد مختلفة ، ومه ما نشاهده في الحجرات الكبيرة ( رقم - 11 ) ، التي اطلقنا عليها اسم ( السرداب ) في العديد من المباني المشيدة في المرحلة العثمانية .

---

(1) المصدر نفسه ، ص 106 0

(2) عبو ، المصدر السابق ، ص 160 0

(3) العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 80 - 81 0

## 49

والقبو نصف الاسطواناني لا يقل اهمية وانتشارا عن القبو المدبب ، وقد استخدم في نفس الاماكن وبمواد انشائية مختلفة ، حسب طبيعة المنطقة ، والقبو المنخفض الذي اتخذ شكل العقد الذي يتقدمه نراه يغطي المدخل الرئيس ومدخل المسجد ، استخدم كسقف لبعض الحجرات التي يراد بناء طابق علوي فوقها . ان الاقبية بأنواعها لم يقتصر وجودها على منطقة معينة ، ولم تبني بمادة انشائية معينة ، بل نراها في جميع ارجاء القطر ، وقد انشئت

بمواد مختلفة بحسب طبيعة المنطقة المشيد فيها المبنى ، وهي امتداد لما كان سائدا في المراحل السابقة .

### القبّة :

تعد القبّة من ابرز العناصر العمارية المميزة في العمارة العراقية ، وهي تعود في اصولها الى عمارة العراق القديم ، وهي بنت البيئة الطبيعية التي نشأت في احضان الابنية الريفية ، حيث يكون السقف استمرارا للجدار الطيني بشكل منحرف تدريجي مقوس 0 ويعود عذا التسقيف الى طبيعة المادة الرسوبية للارض العراقية الذي يعتمد البناء فيها بالدرجة الاولى على مادة الطين(1) .

والمنتبع لأصول هذا التكوين العماري ، يجد انه ليس الا متابعة لأمكانية العقود والاقواس وحركتها ، فحين يكون النقوس باتجاه ما سكون سقوبا (اسطوانية) ، حين تكون الحركة نحو المحو يتألف الشكل القبّي ، وهذا ما ينفرد شكل العقد نفسه فيصبح الشكل الجديد ( القبّة المقوسة ) (2) . لقد عرف سكان العراق القديم ومنذ ازمان بعيدة نظاما للتسقيف يعتمد على تجميع اصغر وحدة لمادة انشائية معروفة انذاك ، وهي اللبن والاجر باسلوب فوق جدران الحجر ، بحيث تشكل قبوا نصف اسطواني او قبة دائرية او بيضوية تقريبا(3).

- 
- (1) مكية : ( محمد ) القباب البغدادية ، بغداد عرض تاريخي مصور ، قامت بنشر المهندسين العراقية على نفقة مؤسسة كولنكيان ، طبع مؤسسة رمزي ، بغداد ، 1968 ، ص 230 0
- ( 2 ) المصدر نفسه ، ص 230 0
- ( 3 ) سعيد ( مؤيد ) ، الاصل العراقي القديم للعمارة الاسلامية ، ص 187 0

## 50

ويعود السبب في ذلك حتما الى ان الحجرة مستطيلة، وليس مربعة ولذلك فلا يمكن ان تجمع سقفا نصف كروي على شكل قبة من هذا الشكل المستطيل للحجرة (1) . وبما ان القبّة وثيقة الصلة بالعقد ، لا من حيث انه وحدتها المبسطة ، بمعنى ان القبّة تتكون نظريا من مجموعة الاقواس المتقاطعة التي يربط بينها حجر مركزي في القمة هو ( مفتاح القبّة)(2) .

وقد اظهرت لنا نتائج التنقيبات الاثرية في العديد من المواقع الاثرية ، فضلا عما ورد ذكره في المصادر التاريخية ، نماذج لقباب متعددة في فترات زمنية مختلفة وصولا الى المرحلة العثمانية التي امتازت بكثرة القباب المشيدة فيها وتعدد انواعها واشكالها واسلوب عمارتها ، الا ان القباب العراقية المشيدة في هذه المرحلة امتازت بإصالتها ، حيث استمر التقليد البنائي للقبّة وحافظت على العناصر العمارية والزخرفية كافة التي كانت سائدة في المراحل السابقة 0 وعلى هذا ، فإن القباب القائمة في بغداد ، ومنها قباب المساجد لم تتأثر بالطراز العثماني المستوحى من الفن البيزنطي (3) ، الا قليلا ، رغم ان معظمها قد شيد في مراحل مختلفة من حكمهم الطويل لهذه البلاد ، وهذا ما يؤكد لنا اصالة الفن العراقي وقدرته على الامتداد والبقاء (4) .

ان معظم القباب العراقية تمتاز بشكلها البصلي ، وهو اسلوب عراقي في بناء القباب ، وهي في الغالب تفتقر الى الرقبة ، وبهذا تشبه القباب العثمانية من هذه الركنية على اختلاف درجاتها وجعلها تبدأ من منتصف الجدار تقريبا ، تزيد او تقل عن ذلك حسب ما يتطلب المبنى ، ليضمن سلامة القبّة وديمومتها (5) ، وهذا النوع من القباب ليست هي الوحيدة المستخدمة في الابنية العراقية ، وبخاصة البغدادية الدينية منها والمدنية المشيدة في

---

(1) المصدر نفسه ، ص 187 0

(2) عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص 214 0

(3) سامح ، المصدر السابق ، ص 109 0

(4) مكية ، المصدر السابق ، ص 230 0

(5) السامرائي ( اسماعيل ) ، المصدر السابق ، ص 92 0

## 51

المرحلة العثمانية منها ، القباب ذات القطع نصف الدائري والقباب ذات المقطع المدبب ، والقباب الضحلة قليلة العمق بنوعها ( العرقجين والصينية ) . وقد استخدم الاجر والجص في انشائها ، وما زال بعضها قائما حتى يومنا هذا ، فضلا عن المساجد الكثيرة المشيدة في المرحلة نفسها .

ومن اجل معرفة الاصول الاولى للقبّة ، فلا بد لنا من التطرق الى اقدم النماذج التي اظهرتها التنقيبات الاثرية ، منها ما كشف عنه في موقع ( يارم تبه ) قرب تلغفر من عصر

حسونة الالف السادس ق0م ( وام الدباغية ) قرب مدينة الحضر (1) والمباني الدائرية التي تعود الى عصر حلف (2) والابنية المقببة من ( تبة كورة ) التي يرجع تاريخها الى اواخر عصر الوركاء وبداية جمدة نصر ، ومن المقبرة الملكية في مدينة او حوالي الالف الثالث ق0م وصلتنا نماذج من السقوف المعقودة بشكل اقبية وقباب (3) .

وزودتنا المنحوتات الاشورية والاختام الاسطوانية بنماذج مصورة لقباب دائرية ومخروطة ومدببة تقوم على قواعد مربعة (4) . وكشفت بعثة اثرية عراقية في مدينة الحضر قرب الموصل عن ثلاثة نماذج من القباب يرتقي زمنها الى الفترة الفرثية ، وهي تمثل مصغرات لمعابد مربعة الشكل (5) . وفي مشروع المسيب الكبير على الفرات الاوسط تم الكشف عن قبة مشيدة بالاجر يرجع زمنها الى الفترة الساسانية (6) ، ومن الحيرة ذكرت لنا المصادر التاريخية اسماء العديد من القصور والاديرة والكنائس كان البعض منها تعلوه قباب ، منها قصر السدير الذي يقترن اسمه في اكثر الاحيان بالخورنق (7) .

(1) الجادر ( وليد ) 0 العمارة من البداية الى عصر فجر السلالات ، حضارات العراق ، ج 2 ، ص 91 0

(2) رو ، المصدر السابق ، ص 91 0

(3) باقر (طه)، المقدمة ، ج 1 ، ص 79 0 سعيد ( مؤيد ) ، المصدر السابق ، ص 187 0

(4) عبو ، الاصول العربية للفنون الفارسية ، مجلة بين النهرين ، العدد 14 ، ايلول ، 1981 ، ص 126 0

(5) سفر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص 154-155 0

(6) الجنابي ، ( كاظم ) ، القباب العراقية ، مجلة بغداد ، العدد 29 ، 1967 ، ص 28 0

(7) السدير : كلمة معرية ( سدير ) ، لانه كان في داخل القصر ثلاث قباب ، فان ( سه ) تعني ثلاث و ( دير ) بكسر

الدا ، تعني باللغة البهلوية ( القبة ) ؛ الشابستي ، المصدر السابق ، ص 236 0

## 52

وفي موقع ( بردان ) في حوض حميرين ، عثر على حجرات معقودة باللبن باشكال مختلفة منها ، البيضوية ، ونصف الدائرية ، ومنها ما هو على شكل مكون من تقاطع قيوين نصف اسطوانيين ليشكل قبة متصالبة في الوسط وبذلك يخلق القبة الصليبية ، تعود للمرحلة الساسانية (1) .

ومن العصر الاسلامي وصلت اليها اقدم النماذج من دار الامارة بالكوفة وهي عبارة عن قاعة مضلعة في اركانها الداخلية الاربعة ، عثر على بقايا من سقفها ساقطا في وسطها (2) ، فكانت هذه اول قبة اسلامية تقام ليس في العراق ، بل وفي العالم العربي اجمع (3) 0

وقبة الحجره الساخنة في حمام قصير عمره ، وهي ذات مسقط مربع التخطيط مغطى بقبة نصف كروية 0 وطريقة الانتقال الركنية تعتمد على استحداث اربع مثلثات كروية في الاركان 0 وقبة حمام الصرح التي تتميز بانها ملساء من الخارج ومضلعة من الداخل (4) ، وهي تعد اقدم القباب المضلعة الشاخصة في العمارة العربية الاسلامية (5) .

وقبة الصخرة ، وهي من اقدم النماذج التي وصلت الينا من العصر الاسلامي ، والتي يحتمل بأن القبة الاصلية فوق الصخرة في مبنى قبة الصخرة من الخشب مثلما هي اليوم ، وهي من الامثلة النادرة في العمارة العربية الاسلامية (6) وهذه القباب شامية الاسلوب ، وقد استخدمت الحجارة في بنائها على يد فنانيين وصناع شاميين مهروا في استعمال الحجر المنحوت(7) ، وقبة الخضراء في واسط ذكرها عدد من المؤرخين العرب ، ومنهم

(1) سعيد ( مؤيد ) ، المصدر السابق ، ص 187 0

(2) الجنابي ( كاظم ) ، تخطيط مدينة الكوفة ، مطابع دار الجمهورية ، بغداد ، 1967 ، ص 147 0

(3) المصدر نفسه ، ص 28 0

(4) الجمعة ( احمد قاسم ) ، القباب العربية وتطورها خلال العصور الاسلامية ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، مطبعة الرشاد ، بغداد ، 1989 ، ص 330 0

(5) شافعي ، العمارة العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ص 177 0

(6) كريزويل ( ك ) ، الآثار الاسلامية الاولى ، ترجمة عبد الهادي عيلة ، مطبعة خالد بن الوليد ، دمشق ، 1984 ، ص 34 ، شافعي ، العمارة العربية الاسلامية في مصر ، ص 199 0

(7) شافعي ، المصدر السابق ، ص 199 0

## 53

البلاذري ، الذي قال : (( وأحدث الحجاج في مدينة واسط في سنة ثلث وثمانين او ست وثمانين بنى مسجدها وقصرها وقبة الخضراء بها ))(1). وتعد قبة حصن الاخضر اقدم مثال عراقي للقباب القائمة في العصر الاسلامي تقوم على حنايا محاربة في زوارها الاربعة (2) .

وعند ناء مدينة بغداد المدورة اقام ابو جعفر المنصور فوق قصره قبة عالية سميت بالخضراء ، ويشير صاحب الحوادث الجامعة الى القبة كانت حتى عام (653هـ / 1255م)(3) ، وكانت قائمة فوق كل من البوابات الرئيسية في السور الاعظم قبة معقودة عظيمة عظيمة مذهبة يشير الخطيب البغدادي الى انها كانت قبة ذاهبة في السماء سمكها خمسون ذراعا مزخرفة وعلى رأس كل قبة منها تمثال يديره الريح لا يشبه نظائره (4) .



ولم يقتصر بناء القباب على الدور والقصور وعلى مداخل المدن ، بل تعداها الى القبور ، وتذكر المصادر التاريخية بأن اقدم قبة اقيمت على قبر هي ، القبة التي شادها هارون العباسي على قبر الامام علي بن ابي طالب (ع) (5) ، وقبة البرمكية زينب بنت مير ام الفضل بن يحيى البرمكي على مقربة من دير ماسرجس بعانة (6) ، وفي عام ( 193 هـ / 809 م ) توفي هارون العباسي فبنى ابنه المأمون على قبره قبة (7) ، وقد تبع هذه القباب انشاء قباب اخرى كثيرة لم يبق منها شيء .

- (1) البلاذري ، فتوح البلدان ، القسم الثاني ، ص 355 0
- (2) شافعي ، المصدر السابق ، ص 178 ، الياور ( طلعت ) 0 العمارة العربية الاسلامية ، مصر ، مطبعة التعليم العالي ، 1989 ، ص 150 0
- (3) ابن الغوطي ، الحوادث الجامعة ، ص 303 0
- (4) الخطيب : المصدر السابق ج 1 ، ص 73 ، العميد ، بغداد مدينة المنصور ، ص 240 0
- (5) آل محبوبية ( الشيخ جعفر بن الشيخ باقر ) ، ماضي النجف وحاضرها ، ج 1 ، مطبعة الاداب ، النجف ( 1378 هـ / 1958 م ) ، ص 41 ؛ ماهر ( سعاد ) مشهد الامام علي ( عليه السلام ) في النجف الاشراف وما به من الهدايا والتحف ، دار المعارف بمصر ، 1388 هـ ، ص 148 0
- (6) الشابشتي ، المصدر السابق ، ص 229 0
- (7) القزويني ، آثار واخبار العباد ، ص 392 ، الامين ، المصدر السابق ، ص 196 0

## 54

وتعد القبة الصليبية في سامراء على الضفة الغربية لنهر دجلة جنوب قصر المعشوق اقدم قبة لضريح مازال قائما في الاسلام شيده والدته المنتصر بالله بعد موت ابنها في سنة ( 248 هـ / 862 م ) ، ودفن فيه ايضا المعتز والمهتدي (1) . فضلا عما سبق ذكره ، فقد ذكرت لنا المصادر التاريخية نماذج لقباب كثيرة شيدهت في فترات زمنية مختلفة وصولا للمرحلة العثمانية .

### الايوان :

يقول ابن منظور : (( انه شبه أزج غير مسدود الوجه )) (2) 0 ويقول آخرون : (( انه المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان )) (3) 0 ويعرف عماريا : بأنه البيت المؤزج

، أي المرتفع البناء ، غير مسدود الوجه ، أي انه قاعة مسقوفة بقبوة مفتوح مقدمها على بهو او ساحة بعقد نصف دائري او مدبب او منفوخ او منبطح او مقصوص مغلوق مؤخره بجدار (4) .

وهو احد العناصر العمارية التي شهدتها العمارة العراقية منذ اقدم الازمنة ، وقد اختلفت الآراء وتباينت المفاهيم حول بدايته الاولى ، فمن الباحثين من يرى ، انه تطور بالبناء لأشكال الخيمة العربية المفتوحة التي كان يستخدمها العربي في بلاد وادي الرافدين او انه كان تجسيما لأكواخ القصب التي كان الاعراب يستخدمونها في العراق ، والتيمما زالت مستخدمة في جنوب العراق حتى الوقت الحاضر ، ونحن نميل الى ترجيح الرأي الثاني لأنه اكثر وجاهة ومنطقية ويرتبط ارتباطا عضويا بأرض وحضارة وادي الرافدين .

ومن هذا يبدو ان الايوان كان معروفا في العراق بحدوده الحالية منذ ازمان بعيدة وحتى يومنا هذا ، اذ استمر استخدامه ولم يتوقف عند مدة زمنية معينة او تاريخ محدد

(1) كريزويل ، المصدر السابق ، ص 379 0

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، م 13 ، ص 40 0

(3) معلوف ، المصدر السابق ، ص 23 0

(4) فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج 2 ، ص 87 - 88 0

## 55

وصولاً للفترة العثمانية ، فنراه ممثلاً في العديد من الدور والقصور والجوامع والمساجد والتكايا والخانات والحمامات ، ويكاد أي مبنى من هذه المباني لا يخلو من وجود إيوان بشكل من الأشكال . اما الاسلوب التسقيف فيختلف من منطقة الى اخرى ، وفي المنطقة الواحدة ، فنرى بعضها ذات سقوف مقبأة بأقبية مدببة او نصف دائرية ، كما هو الحال في المنطقة الشمالية واحيانا مقببة ، اما مادة البناء فهي الاخرى تختلف من مكان لآخر وحسب طبيعة المنطقة ، ففي المنطقة الوسطى والجنوبية استخدم الاجر في البناء والتسقيف ، وفي المنطقة الشمالية والغربية استخدمت الحجارة للغرض نفسه .

ان هذا العصر العماري لم يكن جديدا على العمارة العراقية ، فقد كان معروفا في العديد من المدن العراقية القديمة ، ومن ابرز الامثلة عنه في موقع (( تبه كورة )) شمال

مدينة الموصل ، عن محاولات فردية لتشييد وحدة بنائية مفتوحة تشبه الايوان . بعد ذلك ظهر بصورة جلية وواضحة في العهد الاشوري ، ممثلا في مدينة آشور وبيوتها التي كان سقفها على شكل عقود نصف اسطوانية ، ومنها اووين القصر العربي (1) الذي يعود تاريخه الى القرن الاول الميلادي (2) . والواوين المكتشفة في سلوقية (( تل عمر )) من عصر الحضرة (3) .

ومن اكثر الامثلة وضوحا اووين مدينة الحضرة العربية في القرنين الاول والثاني للميلاد 0 وايوان المدائن الذي يعد من الابنية العراقية التي شيئت في الفترة الساسانية . وقد عرف الايوان في ابنية الحيرة ممثلا في العديد من المباني المشيدة في عهد اللخمين ، منها (( قصر الخورنق )) (4) .

(1) اطلقت هذه التسمية استنادا الى نص كتابي يؤكد بأن بانية معمار عربي ، نص الكتابة :  
ليكن مذكورا بالخير أسد بن فجر بن حبي المهندس المعماري ليكن مذكورا بخير )) ، الشمس ، المصدر السابق ، ص 471 0

(2) اندريه ، آشور المدينة الهلنستية ، ص 127 0

(3) الشمس ، الحضرة العاصمة العربية ، ص 127 0

(4) جواد ، المصدر السابق ، ص 168 0

## 56

وفي العصر الاسلامي نراه ممثلا في دارة الامارة بالكوفة (1) ، وقصور المنصور ببغداد (2) ، وبيوت حصن الاخضر (3) ، ودور وقصور سامراء (4) وفي العصر العباسي والمدرسة المستنصرية ببغداد (5) ، ولم يتوقف استخدامه عند مرحلة معينة او تأريخ محدد ، بل استمر في العصور اللاحقة وبخاصة في المرحلة العثمانية .

### النوافذ :

النافذة : اسم يطلق على كل فتحة تخترق جدارا بغض النظر عن الحجم والشكل ، فكان منها الواسعة التي تزود حجرات وغرفات المبنى بالضوء والهواء والضيقة المرتفعة في

الجدان الخارجية إفا فتحت فيها وخضع ذلك لضرورة مناخية من جهة ودينية واجتماعية من جهة أخرى (6) .

والنوافذ مهما كانت صغيرة أم كبيرة داخلية أم خارجية ، من العناصر العمارية التي عرفها سكان العراق القديم منذ ازمان بعيدة ، ذراها ممثلة في العديد من المباني الدينية والمدنية ، وبخاصة في التكايا ، ويمكننا ان نقسمها الى نوعين :

النوع الاول : وهي نوافذ الجدران التي تزخر بها المباني المشيدة في العهد العثماني وقد اتخذت اشكالا عدة ، من حيث شكلها وموقعها ومادة بنائها واسلوب تنفيذها والعقود التي تتوجها ، وتمتاز بأن معظمها يتركز في الواجهات الداخلية ويندر ان نشاهدها في الواجهات الخارجية التي تقتصر الى وجودها ، وذلك لأعتبارات مناخية واجتماعية ، وهي على نوعين ،

(1) الجنابي ( كاظم ) ، تخطيط مدينة الكوفة ، ص 147 0

(2) العميد ، بغداد مدينة المنصر المدورة ، ص 264 0

(3) مهدي ، الاخضر ، ص 40 0

(4) العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 87 0

(5) مظلوم ( طارق عبد الوهاب ) ، المدائن ، ( طيسفون ) ، سومر ، المجلد السابع والعشرون ، الجزء الاول والثاني

، 1971 ، ص 130 0

(6) غالب ، المصدر السابق ، ص 429 0

## 57

الاول ، شبابيك خشبية تحف بالابواب ، وقد استبدل معظمها في الاونة الاخيرة بشبابيك مصنوعة من الحديد ، كما هو الحال في معظم التكايا وبخاصة القائد منها . والثاني ، شبابيك تسد فتحتها ستائر آجرية مخرمة ، ونوافذ صغيرة اتخذت في الغالب اكالا دائرية تعلوا ابواب الحجرات وتطل مباشرة على الصحن وهي مصدر الاثارة والتهوية ومادتها الاجر .

والنوع الثاني : من النوافذ التي تتوسط سقوف الحجرات تظهر في السطح على هيئة مكعب من الحديد ، سقفها مسنم مسدودة فتحاته بالزجاج الشفاف .

ان النوافذ بوصفها عنصرا معماريا كانت معروفة في العراق وقد استخدمها العراقيون القدماء في العديد من مبانيهم ، الا انه يصعب على الباحث تحديد البدايات الاولى لظهورها

، وذلك بسبب اندثار معظم المباني والمتبقي منها جدران قائمة على ارتفاع قليل جدا لا يسمح بمعرفة الاماكن التي اتخذت فيها نوافذ 0 وبرغم هذا فقد وصلتنا نماذج لا بأس بها من النوافذ ، استطعنا من خلالها تكوين فكرة ولو بسيطة عما كانت عليه ، منها ما كشف عنه في تل (( مظهر )) في حوض حميرين من الطبقة الثانية ، في بناية تعود الى عصر العبيد (1) .

ومن عصر الوركاء كشف عن نافذة في مدينة اريدو عتبتها العليا على شكل قوس يتكون من انحاء جانبها العلوي (2) ، وهذا يدل على ان المباني في بلاد ما بين النهرين تضم في الغالب نوافذ طينية او خشبية تبنى في المبنى ، عثر علمامثلة منها من الالف الثالث ق0م0 ، ولم تكن على شكل واحد ، فمنها المستطيلة والمربعة والدائرية وبعضها اتخذ شكلا مثلثاً (3) ، فضلا عن هذا ، فقد اظهرت حفريات المعهد الشرقي في تل اسمر ( اشنونا القديمة ) على امثلة مبكرة للستائر العمارية للنوافذ ، منها ستارة مربعة الشكل تقريبا مصنوعة

(1) سفر ( فؤاد ) 0 حفريات مديرية الاثار القديمة في اريدو ، م3 ، ج 2 ، 1947 ، ص232-234 0

(2) المصدر نفسه ، ص232-234 0

(3) حمزة ( حمزة حمود ) النوافذ في العمارة العباسية في العراق ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بغداد ، 1990 ، ص27 .

## 58

من الطين المفخور ومخرمة بدوائر نافذة (1) . وقد مدتنا المنحوتات الاشورية بنماذج من النوافذ ، كما كانت نماذج البيوت المصغرة ذات الطابق الواحد او الطابقين المعمولة من الطين المفخور ، والتي كانت تستعمل كمباخر توضع في داخل المعابد - استطعنا من خلالها ان نتبين كيفية توزيع النوافذ في المبنى (2) 0 فضلا على ما سبق ذكره ، فهناك نماذج اخرى كثيرة عثر عليها في عدد من المباني ، منها القصر العربي في آشور (3) ، وفي مدينة الحضر العربية (4) .

اما في العمارة العربية الاسلامية : فليس لدينا من الادلة ما يكفي لمعرفة النوافذ منحيت شكلها وموقعها وطريقة بنائها ، وبخاصة في العصر الاسلامي المبكر 0 ومن اقدم النماذج التي وصلت اليها نوافذ قبة الصخرة ( 72هـ / 691م ) التي تزين فتحاتها كرسي

القبة ونوافذ المئمن الخارج للقبة المغطاة بالواح الستائر العمارية المخزمة ونوافذ القبة التي تتوج الحجرة الحارة في حمام قصير عمره .

ومن العصر العباسي ، فعلى الرغم من ندرة الآثار القائمة ، الا انا نستطيع ان نتبين عددا من النوافذ ، نوافذ حصن الاخضر ، ونوافذ الجدران في كل من باب العامة والمسجد الكبير في سامراء الذي ينسب بناؤه الى المتوكل على الله (247-232هـ / 847-861م ) (5) وفي القصر العباسي والمدرسة المستنصرية ببغداد 0 وخان مرجان (6) ، صلا للعهد العثماني التي استمر فيها استعمال النوافذ في نفس الاماكن وعلى الاساليب السابقة نفسها ، والمواد الانشائية نفسها .

---

(1) ساكر ، المصدر السابق 0 ( لوح - 15 أ ) ، ص 135 0

(2) حمزة ، المصدر السابق ، ص 30 0

(3) الشمس ، الحضرة العاصمة العربية ، ص 471 0

(4) حمزة ، المصدر السابق ، ص 39 0

(5) العميد ، العمارة العباسية في سامراء ، ص 141- 142 0

(6) مديرية الآثار القديمة ، خان مرجان ، ص 3 0

## 59

### المحارب :

ذكر ابن منظور : ان المحراب هو المكان الذي ينفرد به الملك ويتباعد الناس (1) ، وقال الازهري : سمي المحراب محرابا لأنفراد الامام فيه وبعده الناس وهو ارفع بيت في الدار وارفح مكان في المسجد (2) .

اما اصل لفظة المحراب ، قيل اخذت عن المصدر (( محاربة )) لأن المصلي صلاته يحارب الشيطان ويحارب نفسه باحضار قلبه(3) ويذكر السمهودي لفظة محراب اطلقت على الموضع الذي كان يصلي فيه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم ) (4) اتخذ الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) الحرية والعنزة والوتد اثناء اقامته للصلاة في القضاء يحدد بها اتجاه القبلة ، بينما في الصلاة اتخذ المحراب (5) .

وذكر السمهودي ان الرسول ( صلى الله عليه وآله وسلم ) كان يصلي في الكعبة وبينه وبين الحرم ثلاثة أذرع<sup>(6)</sup> ، وهذا يعني ان الامام يحتل في الاقل ثلاثة أذرع على طول القبلة ويحرم صف كامل من المصلين في داخل المصلى 0 ولهذا فقد اتخذت المحاريب المجوفة ، وقد تنوعت اشكالها وتجاويفها ، فمنها ذات المقطع شبه الدائري والمستطيل والمثلث والمخمس في داخل جدار القبلة . وقد استمر هذا التقليد في اقامة المحاريب في الجوامع والمساجد والمدارس والتكايا والخانات والبيوت ، التي نرى تعددها وتنوعها في المبنى الواحد ، الا ان ابرزها واكثرها انتشارا النوع المجوف ذو المقطع نصف الدائري والمنكسر الذي يضيق عرضه كلما زاد عمقه ، وهي في الغالب خمسة .

- 
- (1) ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 196 0  
(2) الزبيدي ، تاج العروس ، ج 1 ، ص 205 - 207 0  
(3) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 205 - 206 0  
(4) السمهودي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 269 0  
(5) التوتونجي : ( نجاة يونس ) ، المحاريب العراقية ، دائرة الآثار والتراث ، بغداد ، 1976 ، ص 20 0  
(6) السمهودي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 271 0

## 60

اما عن اصل المحراب ، فقد اختلفت الاراء وتعددت المفاهيم ، فمنهم من يقول : ان اصل تجويف المحراب من مذابح الكنائس المسيحية ، ومنهم من يقول : انه أخذ من الهياكل اليهودية ، او من المذابح القبطية ، يقول آخرون انه أخذ من المعابد العراقية القديمة ، لأنه أحد العناصر العمارية المميزة لها منذ ظهورها في الالف الخامس ق0م ، وهو المان المخصص لوضع تمثال الاله داخله (1) ، الا انه شكل المحراب وتنوع تجاويفه يدل دلالة واضحة ، على انه من ابتكار المسلمين الذين تفننوا باظهاره بشكل يتناسب وعمارمة المسجد ، ويضفي عليه نوعا من الجمال والجلال .

ثم ان شكل المحراب لم يكن من الصعب على المسلمين ابتكار ولا بحاجة الى اقتباسه ، لأن شكله بسيط بالنسبة لباقي اجزاء المسجد (2) فالمعروف ان المسجد النبوي الشريف لم يكن يحوي محرابا ، اذ كان الرسول يغرس رمحا في منتصف جدار القبلة لتحديد

اتجاه الكعبة ، وقد ظهر فيما بعد وذلك نتيجة لوقوف الامام في منتصف الصف الاول ،  
وذلك حتى لا يشغل وحده ، الصف الاول الذي يمكن ان يقف فيه عشرات المصلين (3) .

ومن دراسة الاثار العربية الاسلامية استطعنا ان نتبين العديد من المحاور في العديد  
من المباني وبأشكال مختلفة بدءا من العصر الاسلامي المبكر وحتى نهاية المرحلة العثمانية  
، وفي جميع ارجاء العالم العربي والاسلامي ، اذ لا يخلو أي مبنى اسلامي من وجود مسجد  
او مكان للصلاة يتوسط الجانب القبلي منه محرابا أتى شكلا معيناً يتناسب وطبيعة المبنى  
والمادة الانشائية .

---

(1) مهدي : دور المعبد ، ص40 ، سعيد ( مؤيد ) المصدر السابق ، ص120 0

(2) التوتنجي ، المصدر السابق ، ص22 0

(3) عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص255 0

& & &